

روايات مصرية الجيب



ماوراء الطبيعة

أسطورة النداهة

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

www.liilas.com/vb3

^ RAYA HEENA ^

من أرق القلوب والروح والذاكرة
التي تستحق الشكر والثناء

٢٢٢٤

أسطورة النداهة

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

هل تسمعون هذا الصوت العميق
الساحر القادم من المجهول ... ؟
دعوني ألق به ... ، سقول أمهاتكم إن هذا
هو صوت النداهة وأن ما من إنسان يشاء إلا
واحتل كل أثر له ... ، سقول زوجاتكم إن هذا هو
صوت النداهة .. الغول المتنكر في صورة فتاة حساء لغري
الرجال باللعاق بها ... ، سقول أخواتكم ... لا ...
لا تذهبن ... لا تصدن هذا الكلام .. تعالوا معي
إلى الحقول المظلمة في قرى محافظة الشرقية ..
تعالوا لتلني هذا النداء ... ، وإذا ما قدتم
حياتكم فلا تحيروا أحداً بأنني من
دعائكم إلى النداهة !!



أسطورة النداهة

الطبعة الأولى
الطبعة الثانية
الطبعة الثالثة

الطبعة الأولى: ١٩٩٠ - ٢٠٠٠

مقدمة ..

الاسم : د. رفعت إسماعيل .

المن : سنة وستون عامًا .

المهنة : أستاذ أمراض الدم (سابقًا) بعدد لاهوت به من
الجامعات في مصر وأوروبا وأمريكا .
الحالة الاجتماعية : أعزب .

لقد عشت حياة حافلة ألقت فيها في كل مكان عن
أساطير الحياة التي ورثناها عن أجدادنا وأثارت رعبنا كما
أثارت رعبهم ... واجهت الكونت (دراكولا)
و (الزومبي) ودخلت قلعة د. (فرانكشتاين) وتعرضت
للغة الفراعنة ونصبت بأوراق التاروت وغير ذلك الكثير ..

وقبل أن يحين الأجل أو يلغى تصليب شرابين الملح على
ذاكرتي أثرت أن أكتب حكاياتي كي يعرف الشباب أي
محارب للفرافات والخزعبلات كئنه في حياتي ..

واليوم سأحكي لكم حكايتي المريعة مع رعب القرى
المصرية العتيق .. (النداهة) .. وإن أكرر نفسي ..

لا تقرأوا هذه الصفحات إلا نهارًا وبين أحبابكم ..

إن الليل والوحدة يثيران الخيال .. وأنا أعرف هذا جيداً
لأنى عانيت منهما كما لم يعان أحدكم .. ولهذا - ولهذا
قلوبكم ألا تقرأوا هذه الأوراق وعندكم ليلاً ..
انظروا شمس النهار .. ونفسه الصحية الأسمى .
لقد نصحت .. وقد أعطى من لنشره ..

١ - العودة ..

قريتى أخيراً ..
قريتى العجوز الطيبة حيث كانت طفولتى ومراعاتى
قبل أن أنتقل إلى القاهرة كى أدرس الطب وأقيم هناك ..
لم يتبدل شيء ..
البيوت الطينية .. المسالمة .. المسجد الذى تأكلت
جدرانها .. التربة الرابدة .. النخلة المائلة فوق حائط
الكتاب .. الأطفال الحفاة يلعبون ألعابهم البدائية وقد ندى
المساقط من ثوبهم ..
وكنى أنا فى سيارة أجرة .. واحدة من تلك السيارات
العتيقة التى لا تصلح إلا لنسقوط براكينها من الفلاحين
التقصاء فى التربة ، لم تكن ميارتى لتتحمل هذا الطريق
الوعر ، لذا تركتها فى القاهرة ..
ثمّة فلاح عجوز مشكك يجلس جوارى وترتمش شفاته
بآيات قرآنية طويلة الوقت ، وكل ثلاث دقائق يهتف فى
المساقط :

- بالراحة يا (صالح) .. هي الدنيا طارت ..
فوضحك المساكين فى غفلة ، ويرفع عقيقته بالظلام
بصوت أجش (لم تكن أجهزة كاسيت السيارات منتشرة فى
ذلك الوقت لحسن الحظ) ، وتردد مرحة العربة أحر ..

وعلى جانبي الطريق يتوقف الفلاحون من العمل في
حقولهم ليروا ما هناك وقد ضيقوا عيونهم - من أثر الغبار
والعرق - مؤكدين حقهم الإلهي في التدخل فيما لا يعنيههم ..
إلى أن يقول أحدهم في نكاه واضح :

- هذا (صالح) !

- لقد عاد إذن !

ويواصلون عملهم .. ويواصل العجوز قراءة القرآن ..

قريتي لغيرنا .. !

في إحدى قرى محافظة الشرقية على مسافة قصيرة
من (شالوس) واسمها (كفر بدر) .. حال معروف هذا
الاسم ١٢ .. لا ألقن .. هل ستكفرك ١٢ .. لا ألقن ..

إله اسم آخر من تلك الأسماء المتشابهة التي يزخر بها
ريفنا الطيب والتي لا يعرفها ولا يهتم بها سوى أبناء
قرانا ..

من هذه القرية الصغيرة صرت أحد أساتذة أراض الدم
السموميين وحضوا مرهوناً فيه في كل سنتي ظمى في
العالم .. وصديقاً لكل حضاء الدم في الأرض ..

ليس هذا غروراً ولكنه احترام بفضل هذه القرية
الطاهرة على ..

واليوم أعود إليها بعد النقطاع ، شاعراً بحاجة التنبهت
إلى جذوره ..

نظرات الأطفال الفضولية تلاحتني ، والصناعات
المراهقات يختلن إلى الطرف ثم يتركز بعضهم البعض في
دلال مرج ..

لا أحد يذكركي تقريباً .. لا أحد ..

ووصلت إلى دارنا .. الدار الحنون التي عشت فيها
أجمل أيامي ، وهي - كأغلب بيوت القرية - مصنوعة من
الطين اللبن ، مصنوعة عند منخلها فوقها مصباح جال
مشروع .. ثم الباب الخشبي العملاق .. والفسحة التي
يمرح فيها البطة والدجاج يتسلى بالنقاط الحشرات من
الأرض الطينية الزلقة ، وحجرة على يمين الداخل ..
والفرن الضيق .. ثم درجات طينية منحوتة كوكها تكلف
تسعد إلى الطابق العلوي حيث السطح بما عليه من أكوام
تبن وأقراص من روث الماشية معدة لتجف .. وجوارها
حجرتي .. وبالطبع لم تكن الكهرباء قد وصلت قريتي في
ذلك الوقت ..

على الباب لتحتضني .. ثم تفتت وألقيت نظرة على العز
الصغيرة التي أخذت ترمقني في دهشة .. ، سيدة عجوز

جائسة وأمامها طشت لحاس كبير مليء بالأرز وقد
شرعت تنقيه .. وجوارها شابة حماماء منهكة في تنظيف
طفل صغير عار تملأ ..

رفت المعجوز عيلوها لذياليتين لأعلى لمرأتى ..

.. أبلى ... (رفت) ..

.. أمى ..

وارتميت في أحضانها وقبلت يديها في نهم .. اللينين
المعروقتين العزيزتين .. في حين شرعت الشابة تعانقني
من الخلف دامعة ويداهما مبتلتان بعد ..

.. أمى ..

يا للحنان .. وبها للركة ! أبدا لم أتق في حياتي قبلات بلا
لحن وصداقة إلى هذا الحد من أية امرأة إلا من أمى
وأمنى ، وأبدا لم يبهك إنسان بصدق حين يرانى إلا هاتين
العزيزتين ، لكننى لم أفطن أبدا قبل تلك اللحظة إلى ما هما
فيه من فقر وبؤس حال ... دائما كانت هذه المعالم التى
تصطفهما حقيقة مسلمة في عيني إلا أن فترة غيابي عنهما
جعلتنى أفطن إلى أن من واجبى أن أوليهما عناية مادية
أكثر ..

إننى - الآن - قادر على أن أبلى لهما بيتا من الطوب ..
وأن أوفر لهما الكثير من سبل الراحة التى هما جديرتان
بها ..

لكن شيئا في عيني أمى جعلنى لأرجل التفكير في ذلك ..
إن حماسيتها الزائدة أن تعتبر اقتراحى بزا بأعلى بل
سوى فيه لوذا ما من التعالى على بيتى ، إن فكرة إقامتى
وحيدا بالقاهرة وسفرى للخارج مرارا لا تطارقها .. وهى
تؤمن إيمانا مطلقا لا يتزعزع أننى - لابد - قد تغيرت ،
وهى تتنظر أول تلميح منى كى يتحطم قلبها ..
نعم .. لنرجى هذا الحديث الآن ..

كانت عودتى - للأسف - وبالأعلى التطوير بالدار ...
منبعة دامية قامت بها أمتى .. وتم إعداد مائة هائلة لى
في حين أخذت أمى لتدبر (الصلىة) كجنرال في حرب يعرف
تماما كيف يكسبها ... رحمها الله كم كانت باسلة لشجوة ..
وجالمتنا كهارون الرشيد على الطليبة بين تكوام الرقاق
والنحم واللين الرائب والخبز والفطير ، أدركت أن على أن
ألتهم كل هذا عن آخره ولا تعظم قلبا هاتين العزيزتين !
وأمى - ككل لم مصرية - تؤمن أن صحة ابنها ليست على
ما يرام في أية لحظة تراه فيها ، وتؤمن أن الأكل هو
العلامة الوحيدة الموثوق بها على الصحة ، ثم هى
- طبعا - ترى أننى تأخرت في الزواج إلى حد مرعب ..

- كم أتمنى أن أطمئن عليك مع زوجتك ، هي التي
مستعرب كيف ترعى صحتك وطعامك ..

آه يا اللعنة الأثيمة !..

كنت أنا وقتها قد بدأت أشعر بالوحدة وبترك الغريزة
التي يستشعرها الواحد منا لم يرغب أن يكون اثنين ثم ثلاثة
ثم أربعة وهكذا ... لم يكن قلبي يختلف عن قلب البواب
والسباك ويبيع الجرائد .. تلك الحاجة الملحة إلى رفيلة
كرب تنظفرك عند عودتك ليلاً وتودعك عند ذهابك
صباحاً ..

رحمك الله يا أمي !.. كيف لو عرفت - وكيف لو عرفت
أنا - أنني سأصل إلى سن السادسة والسنتين وحبذا ، ولم
يكن في توحي أننى سأرى كل هذا الذى سأراه وأننى
سأقضى زهرة عمري بين مصاصي الدماء والممox حتى
لا يبقى لى وقت ولا متسع من عاطفة يسمحان لى بأن أجد
فتاة لطيفة تشاركنى حياتى ..

أبتعت قطعة اللحم التي كنت أؤكلها .. وغصمت :

- ربما يسهل !

ونظرت لوجهها النود الطوب كيف لو عرفت ما مررت
به فى إنجلترا وفى رومانيا ؟.. لو عرفت لماتت هلعاً ..
ولأسمعت أن أظل فى كنفها أمناً حتى يموت واحد منا ..

مددت يدي أداعب ذقن الطفل العارى الذى أنا خاله ..
وسألت :

- كيف حال (طلعت) زوجك يا (رفيلة) ؟

- بخير .. سيهود ليلاً ..

غصمت لقمى فى القشدة وطوحتها لى .. وواصلت
الاطمئنان :

- وما أخبار (رضا) ؟

و (رضا) - إن كنت لا تعلم - هو أفى ، وهو فلاح أثر
أن يرضى أرضنا فى القرية ويقيم مع زوجته فى الناحية
الأخرى من البلدة لأن زوجته العصبية المتعالية لم ترد أن
تعيش مع أمى وأختى ... مرت دقائق فطنت بعدما لى أن
واحدة منهما لم تجب عن سؤالى ..

- أقول .. ما أخبار (رضا) ؟

نظرة ساهمة فى عيني أمى .. وسمعة متجمدة فى عيني
أختى وهى تحاول تجاهل السؤال بالتشاغل بإطعام
طفلها .. ماذا حدث ؟

- أمى .. ماذا حدث ؟..

وجدت أمى ألا مفر من الإجابة عن سؤالى فنظرت
لعينى وهمت :

٢ - أسطورة جديدة ..

القراءة ١٢ .. بالذكريات التي تثيرها هذه الكلمة
عندى .. عكايات جنتي لذا جوار القرن ونحن بعد صبية
صغار نصفي لفصصها بعيون مفتوحة وأفواه فائرة ..
قصة تلك الشابة الصماء التي تسير في الطول لولا تنادي
الشباب - الذكور طبعا - كي يلحقوا بها .. ويهرع الشباب
إلى أحضانها ، وهذا التحول إلى حقيقتها .. طول مرعب
فمرس بفترس الفتى فلا يسبح عنه أحد بعدها ..
لكن أرفقتا هذه القصة .. ، ولكن تخيلنا تفاصيلها
الشيعة في منات الصور المرعبة ، ومازلت - بعد كل هذه
السنين - أذكر صوت جنتي الطين الخفيض يرن في حزن
ذلك الموال :

فمن الولد يامنه ؟ قالت لى أهله
فات الهله لىما الغولة نافت له

★ ★ ★

فمن الولد يا ولا ؟ قالوا الولد مسحور
سافر وراها بلاد وأدى السنين بتكور
بالها من قصة ١ .. واليوم تبت ذلك من قصص
على الخلفية .. والغريب أنها تعود إلى في هذا الوقت ..
ومع ألى بالذات ١ ..

- رعا الله وحفظه ..

- ماذا .. هل .. هل هو مريض ؟ .. هل تورط في

مشاكل ما ؟ .. إن (لجاة) زوجته ..

- لا انتهم أحدا يا بلى .. إنها إرادة الله ..

- إذن ماذا حدث ؟ ..

انهضت أختي ليها من على حجرها .. وهمست :

- (رضا) .. ناخته القعدة ..

★★★

- هل .. هل تعنين النداهة ؟

- نعم أ.

- النداهة .. المرأة التي تتأذى الشباب و ... ؟

- نعم .. زين للشباب ..

أقبلت بالنفمة التي في يدى على الطبلية ، ونهضت في

حلق

- ماذا تعنين بهذا الكلام الفارغ ؟

قالت لمي بعين دامعة :

- أفسم على هذا .

- ولكن لا يوجد شيء كهذا ..

- يوجد يا بني .. يوجد .. هل سميت كلمات جنتك أم أن

الإقامة في مصر قد جعلتك تتسى كل شيء ؟

أه .. بالهذه النفمة التي كنت أفضها .. مرة أخرى

تذكرني أمي أنني تفيرت حتماً ، وألنى اعتقد أنني أكبر

والأفضل من كل معتقدات أهلي .. وهذا .. بالطبع .. ليس

صحيحاً .. لا يجب أن أظل مؤمناً بالفولة والنداهة

والعظمة لكن أثبت لهم أنني لم أتغير ..

- حسن .. كيف نأنته ؟

- نأنته .. وهذا كل شيء ..

- وهو .. هل هو موجود أم ماذا ؟ .. هل اختفى ؟

- إنه في بيته .. لكنه تغير .. لم يعد يكلم أحداً ، ولا يأكل
ولا يشرب ..

- لكن هذا لا يدل على شيء ..

- إنه ينتظر نداءها الثاني ليُلحق بها للأبد ..

بالجنون .. الهراء الذي يطارئني في الجلوس

ورومانيا وحتى هنا في قريتي حيث ظننت أنني سألت بعض

الراحة النفسية .. يجب أن أخلق في الموضوع بهود

ومون النعال ، يجب ألا أسمح للنفس أن تصرخ في هاتين

الهاتين ..

- حسن ..

فلتتها في استسلام .. وأردفت :

- أريد أن أراه فهل هذا مسموح به على الأقل ؟

★ ★ ★

ذهبت لدار أخي المصنوعة من الطوب الأحمر وعلى

بابها كطوف مفتوحة حمرام لمنع الحسد مع بعض

العبارات التي تحاول طرد الحاسدين .. وقرعت الباب في

هزم ..

افتتح الباب عن زوجة أخي بوجهها للصارم المتعالي ،

وما أن رأيتني حتى رسمت ابتسامة قاسية على شفتيها ..

ودعيت بي في فتور :



جلست جوارها في هدوء وتأملت .. كان يرتدى جلبابا أزرق متسخا ..
ورأسه عار .. ول عينيه نظرة تائهة ترمق أبعادا أخرى لا تعرفها ..

.. أهلا ياكتور .. الحمد لله على السلامة ..
وقائمتي للداخل .. وكان هناك ثلاثة أطفال يلعبون في
صحن الدار توقفوا عن اللعب ، وأختوا يرمقونني بعيون
فضولية واسعة ..

.. هيا يا أولاد .. سنعوا على عمكم ..
امتد كفان صغيران يصافحانني في حين توارى الثالث
في خجل مذعور برغم لوم والدته له ، تمتعت ببعض
كلمات الإغراء على نمو الأطفال وفرفهم .. ثم سرت
خلفها إلى غرفة النوم ..
هناك - على الفراش - كان جالسنا .. (رضا) أخى وقد
انثنى على نفسه منطويا .. وكان الليل قد بدأ يحل مما
جعل الرؤية عميرة نوحا ..
- (رضا) .. لقد جاء أخوك الدكتور (رفعت) .. هيا
رغب به ..

لم يدة ..
- (رضا) .. لقد جاء من مصر خصيصا من أجلك ..
استمر الصمت ... جلست جوارها في هدوء وتأملت ..
كان يرتدى جلبابا أزرق متسخا .. ورأسه عار .. وفي
عينيه نظرة تائهة ترمق أبعادا أخرى لا تعرفها ..
لم يتغير كثيرا ومازلت أرى ملامحي في ملامحه .. لكن
ماذا دهاء ؟

- (رضا) .. ألا تعرفين ؟

لم يبد عليه أنه سمعنى فضلاً عن أنه عرفنى أمانت ..
رَبَّتْ على كتفه والتفت إلى زوجته حيث ولّفت ويدها فى
وسطها ..

- منذ متى ؟

- منذ أسبوع ..

- وماذا حدث ؟

كانت وهى تشعل لمبة الجال لتبهد بعض فلام الحجرة
مضيفة - فى الواقع - فلاناً كنيبة زادت الجو توتراً :

- كنا قد تمنا .. ثم سمعت صوتاً ينادى (رضا) ..
(رضا) .. صوت امرأة قائما من الحقل القبلى ، نهض هو
مهتماً على أن يرى ما يحدث . قلت له إنها النداهة
يا (رضا) . لا تذهب يا (رضا) ، لكنه أصر على أن
يذهب .. وما هى ذى النتيجة .

- وهل عاد لك بعدها ؟

- كلا . تأخر كثيراً .. فخرجت للحقل وحدى حاملة
لمبة الجال ، وهناك وجنته واقفاً وحيداً لا يرد . عدت به
إلى البيت ومنذ تلك الساعة وهو فى هذه الحال .
- وهل هو لا يأكل فضلاً ؟

- تقريباً .. أحياناً أومن الطعام فى فيه كالإطفال أو
كالبط ! ويقل الطعام فى فيه دون مضغ عدة ساعات ..
- وفشاء الحاجة ..
- حيث هو ؟

وفشاء - ونون الذل - انتشرت باكبة والتموج تحتفظ
بكنماتها :

- لقد ضاع رجلى .. لقد انتهى ؟ .. باليته ما خرج ..
باليته ما سمعها .. ماذا أفعل ؟ . ماذا أفعل ؟

ثم شرعت فى همكياً تنبه على حماقة وتسب
للظروف التى جعلته - هو بالذات - ضحية النداهة ، ثم
تسب النداهة . ثم تسبى أنا نفسى لأننى ... لا أدرى
بالضبط ما تنبى فى الموضوع لكنها رأت
أن فى دوراً ما ، لا تعرف كنهه ويستحق التوبيخ .. ربما
لأنها كانت تفضل أن أكون أنا فى مكانه .. إن تمنى يكامل
قوى العظية هو فى رأبها جريمة لا تغتفر .. ولا أقومها
على هذا ..

ثم تهافتت فأجلستها جوار (رضا) وربت على
ذراعها ... ما أغرب هذه المرأة ! كل هذه العواطف كانت
مختلطة وراء مظهرها الصارم المتعالى .

- ماذا أفعل بكوم الذم الذى تركه لى ؟
اتوابع أنها كانت بالفعل فى موقف لا تجد عليه لأن

أخى كان رجل قبيح بمطى الكلمة . يفعل كل شيء ويعرف كل شيء ، ومن دونه هي ضالعة تمامًا ..

.. إنه لم يمت بامجاد . لم يمت ..

.. بل هو ميت فعلاً ..

.. إنه مريض .. وسيفنى ..

.. كلا أنا أعرف مصير من نلتهم البداة .. سيظل هكذا أسبوعين أو ثلاثة وبعد هذا تلتنيه للمرة الثانية ، عندد يفارلى الدار للابد ولن يراه احد بعدها .

.. كلا لن يحدث هذا وإن حى ، إن يموت أخى بشر ابدأ .

وتنهضت في تصميم وقد تذكرتها في الأخرى ..
فأفكمت

.. وإن يموت زوجة أخى سوء ظلم أنا على وجه الأرض ..

★ ★ ★

كان الظلام قد أركس سدوله على القرية . والنجوم شديدة الوضوح في السماء كأنها تكرب في ثوب أسود يغطي الكون . كل الموجودات قد برت واصطبغت بلون أزرق قاتم . ووجود جمجمة بالظلام تمر من جوارى تفريش السلام فأرد بعبارات مختلطة وذهلى شارد .

ما هي هذه الأعراض ؟

إن هذه الصورة تشابه إلى حد ما أعراض الاكتئاب التفاعلى الحاد أو صدمة عاطفية أو مرضاً نفسياً ، لا أعراضه لأنى لا أعرف سوى أقل القليل عن هذه الاضطرابات

وفي تلك الأيام المسعدة لم تكن المخبرات معروفة بصورتها البشعة التى مررها اليوم . لهذا استمعت لها على الفور وإن كنت لا أذكر تشابه هذه الأعراض مع سقم الباربيتوريت المزمع . لكن أخى لم يكن من النوع الذى يذم .. ولم يكن سهل الخداع أبداً .

هل هو مريض عصى ما لا أعراضه ؟ هل هو جنون ذهولى متفقم ؟ هل هو ؟ هل هو ؟ لا إجابة هناك شيء واحد أعراضه . إن واجهى هو أن أجلب بعض زملائى من أساتذة الجامعة ليروء .. وأنا وأثنى لهم سيحدثون مصطلحا لاتينيا من عشرة أحرف على الأقل يسمون به هذا المرض . ويصفون بعض الأعراض والحقن نعد أخى إلى حالته الأولى ..

نعم . كنت أعرف ما ينبغي على عمله

★ ★ ★

وقلت (نجاه) مذهولة ترقب ما يحدث ، في حين ولقد أطلقها في استمتاع واضح يراقبون هذا السبوك الذي يدور أمامهم ..

وعلى الفراش الضخم تمدد ألى (رضا) ذاهلاً لا يدري بشيء مما يحدث له ، في حين انقلب زملاى - علماء الطب - يجمعون كل مللهم من جسده القوى الدكتور (عادل شلى) أستاذ الأمراض الباطنية قاس حرارته وضغط دمه ووضع سماعة على صدره وبطنه ثم هز راسه وجمع حاجباته ونهض .

الدكتور (محمود الإبيوطى) أستاذ الأمراض العصبية وحزه بدروس عدة مرات وضربه بمطرقته مراراً وتكراراً عصابات فكه ثم ترك المجال للدكتور (محمد إبراهيم) أستاذ الأمراض النفسية الذى أخذ يرمقه فى شك ، وأخذ يسأل (نجاه) أسئلة محمومة لا ينتظر إجابتها عن ألى وهل كان يعيل للوحدة وعائلة ألى بأى و . . . و .

ثم جاء دورى لمندبت بنى بمحلق عملاق وسحبت من ذراعه عشرة سنتيمترات من الدم وضعتها فى أنبوب اختبار به مادة مائعة للتجلط وأصدرت لتميذى للدكتور

(علاء) قطعة طويلة من اللعوص يقوم بها حين يهرود لمجهله فى القاهرة ..

ثم لنى خرجت معهم إلى صحن الدار واجلسهم كيلاً اتلقى حول أبواب الشاى الأسود لنى أعتها زوجة ألى . . . وقلت فى حرج -

- إننى أشكركم على عشقة السفر وكل الوقت الذى أضتموه من ألى

قال د (محمود) وهو يرفل الشاى ،

- لاجاملات بيننا بها الزميل . لاجاملات .

وقال د (عادل)

- إن هذا هو واجب المهنة سكر من فضلك !

داولته عبة المنكر والمطعة ، ثم تلمحت وقالت

- والأل هل كونتم رايا ما ؟

سد لتصمت برهة ثم قال د (عادل) فى كياسة

- من ناحيتى لا توجد مشكلة ، إله منهم

تماماً وجهازة العصبى متكامل وهذه ليست أعراضاً

نفسية لها اسم !

ولكن ، هذا يعنى ، إذا زعم هؤلاء الزملاء أنه

لامشكلة هناك فلنا كليل بهمهم يعيشون فى مشكلة حقيقية .

- ولكن لا بد ان هناك شيئاً ما خطأ .

قال د . (محمد إبراهيم) وهو يشمل غلبونه .

- بالطبع ..

- وهذا الشيء نه اسم .

- بالطبع ، وهو إلى حد ما يشابه أعراض الاكتئاب أو

لقد انطلق الهستيرى لك ، هو بالفعل ؟ . لا يستطيع

أحد أن يحزم ..

- إذن فمن يستطيع ؟

قال وهو يثقل لسانه الغليون كربة الرائحة معنثاً سعباً

كثيفة :

- المشكلة هي أننا لا نعرف شيئاً عما سبق هذه

الحالة . كملابس التي أنت إليها ، ولا تلك أية قصة

سوى قصة زوجته العنيفة التي يعوزها الدليل العنصرى .

ثم اشارة إلى بهم غلبونه وأرشف :

- مثلاً هل ستحكي لك هذه السيدة أية صدمة عاطفية

سببتها له في تلك الليلة المشهورة ١٤ هل لديها فكرة عن

برماته المالية أو مشاجماته أو هزائمه ؟

قال د . (عادل) كملاً للكلام :

- هل تعرف - وهو الأهم - أية عفاقر يتعاطاها ؟

قلت في حلق :

- وهل تجد أية علامات لإيمان مظهر معروف ؟

مظهر لا يؤثر في حيلة العين ولا في الجهاز العصبي

ولا في العلامات الحيوية ؟

- وهل أنت مطمئن بكل أنواع المظدرات ؟

- على الأقل أعرف منها ما يحتمل أن يوجد في قرية

كده .. ثم إننى أعرف أحياناً جيداً .. إنه لا يمكن ولا يتعاطى

حتى الأسبرين ، وهو حذر جداً بحيث لا يمكن أن يلمس له

أحدهم شيئاً منها في طعمه ..

- إذن فالعمل الصحيح هو عند زوجته ..

تحتاج د . (محمود) معطاً رغبته في الكلام ..

- إذا أرقت رأسى .. هل يمكننى الكلام بصراحة ؟

- بالطبع ..

قال وهو يحاول أن يتعاضى نظراتنا المتشعبة :

- أنا كنت مستريحاً لهذه المرأة القاسية المتسلطة ،

واعتقد أنها تصارع لعبة نفسية ما ، مع أخوك أنت

لتعطيه بهذه الصورة ..

قلت وأنا أمد يدي لتكوب الشاى :

- كذلك ثم تعرف أحياناً .. إنه هو رجل القبيح بمعنى

الكلمة ، بل ما فى الأمر أنه يعوها ويحاول إرضاءها قدر

استطاعته ..

- هذا لا يمنع لها تمسوط عليه .

- ثم إنها الآن في موقف لا تحسد عليه . ليس من مصلحتها أبدا أن يفلد زوجها وعيه خاصة في هذه الأيام ..

قال د . (عادل) وهو يعيد كويته للصينية ممتننا بعبارة شكر :

- على العموم هي مجرد ارم .. والآن علينا أن نتصرف لقد حان موعد عيادتي .. وامامنا رحلة عودة شاقة !..

- ولكننا سنكفدي سويا ..

- كلا . لكن هذا في ظروف أخرى إن شاء الله .. وهكذا - وفي صمت - أركبتهم في سيارتي وبدأنا رحلة العودة للشافة إلى القاهرة ، كنت محرجا منهم فلم أجزأ أن أصارهم بأن فحوصهم لأخفى وثراءهم لم تزد الأمر إلا سوءا . وأن ما قدموه لي لا يساوي ثمن البنزين الذي بدنته في هذه الرحلة الترحيبية ..

لقد وصعت مشكلتي في أيدي ثلاثة من أساطين الطب في مصر فاعلموها إلى فائتين إنها مشكلتي أنا .. ياله من شعور مرعب !.. إن قلنا وحدي . وحدي تماما ..

وعند مغفل عيادته في باب اللوق نزل د . (محمد إبراهيم) من السيارة وسط بحر من عبارات شكرى ، واتجه للمغفل . ثم تذكر شيئا ما فعد إلى واتمنى فوق نافذة السيارة هاسئا لي :

- هل تعرف !؟

- ماذا ؟

- لو كنت مكانك لفكرت في أسطورة النداهة بشكل أكثر جدية . ألم يخطر لك أن أخاك قد نذته النداهة بالفعل ؟

عدت للقريه بارود الذهن . وكان الليل قد أرغى مدوله بظلام ثم أعتقه أبنا في الظلمة - ظلام ثليل نرج يخلق الانفاس . ولا يفلح نود كشافات سيارتي في تهنيدته إلا قليلا ..

وصلت لدار أخى فقرعت الباب - أضللتى (نهاة) وقد بدا بعض التشوب على وجهها وفي لهفة سألتنى .

- هيه ..؟ ماذا قالوا ؟

هزرت كتفى في يأس .. ثم قلت في شرود :

- لا شيء .. حالة نفسية لا أكثر ..

- ألم يتصوروك بشيء ؟



.. أشبهاء تهم الأطباء فقط . ولكن لماذا تسألين ؟

قالت في لهفة ذات معنى :

.. ويحول لي أن هذه هي الليلة !..

.. ليلة ملا ؟

.. ليلة الرحيل !..

.. اسمعيني يا (تجاة) . من تعود لهذا مرة أخرى ..

.. لن أتكلم . تعال للداخل وانظر ..

تبعثها في توجس وهي تحمل نسبة أجاز وظلها بسقط

ظلها على الأرض طويلا مهيبا مرعبا .. معها دخلت

غرفة النوم فلم أجد (رضا) في الفراش ..

.. إن ابن هو ؟

أشارت بأصبع مرتجفة إلى النافذة . النافذة المظلمة

على الحائط القبلى المظلم . هناك كان والها ينظر إلى

الظلام في ثبات وظهره لنا . لم يشعر بوجود أحنا قط ..

اقتربت منه في تودة ووضعت يدي على كتفه فلم يهتز ولم

يبد عليه شيء . عيناها شاحختان خرساوان وثمة رجفة

في شفتيه قلقة يحترق أمرا .

.. هل رأيت ؟ . منذ انصرف الحكماء وهو هكذا .

قلت في ضيق :

.. وما هي المشكلة ؟ . إنه مريض لا أكثر ..

اخرجت منه في تودة ووضعت يدي على كتفه فلم يهتز ولم يبـ

عليه شيء .

مصمصة بشفتيها متصصة . وقالت :
- كلهم يبحث لهم نفس الشيء .. إنه ينتظر النداء
الثاني ..

- (نجاه) .. لا داعي للخريف .
ثم إنني نهضت إلى حقيبتي التي نصبتها في غرفتي ،
وأخضت منها معقلًا وعلبت منها غليظة (في تلك الأيام
المسعدة قبل اختراع الإبر والتهاب الكبد الفيروسي كنا
نقلى المحالين الزجاجية) ، ثم كسرت أمبولاً من
الفيولوباربيتون(*) وتناثرت ذراته وأفرغت مستوى
الأمبول في وريده ... لم يقاومني كان الإبرة تفتقر
هروق شخص آخر ..

بعد قليل بدأت جلونه تتدلى وجسده يتراخي ، من ثم
نظرت إليها في ارتباك . وقلت :

- ها هو ذا .. سيئام نوما عادلاً حتى الصباح ..

- أكيد ؟

- طبعاً . حتى تداعك لن تستطيع إيقاظه ..

وتناولنا على إرقاده على الفراش ، ثم جمعت حاجياتي
وهممت بالانصراف ولم نحاول أن تدعوني للبقاء معه ولم
أكن لأقبل لو فعلت ..

(*) حذر ملوم .

في الخارج كان الظلام الدامس مهيماً وصوت حشرات
الحقول يتعالى في إيقاع رتيب .. أغلقت باب السيارة
وأشرت للمحرك . هل هذا للصوت الغريب القادم من
المحرك أم ماذا ؟ كلا ليس هو المحرك

هذا الصوت القادم من بعيد .. من الحقل القبلى .. صوت
عصيق رقيق كأنه امرأة تتوجع .. بهذه ومع الصفت على
مقاطع النداء

- رايح .. رايح .. رايح ..

كلا ليس ما تقوله هو هذا . أوقفت المحرك لأسمع
بصوت أوضح نعم . تكاد أقسم أن هذا الصوت القادم من
الظلام . من الحقول البعيدة التي لا يجرى إنسان أن يمشي
فيها ليلاً مهما كان معه من مصابيح . هذا الصوت يردد
في إصرار مغموم :

- (رضا الله) . (رضا الله) !

★ ★ ★

٤ - مرضى آخرون ..

والآن لابد لكم أن تعرفوا بأئني قوى الأعصاب إلى حد غير عادي وأن إيماني بالعلم لا يتزعزع . لاني - ببساطة - بعد أن سمعت ما سمعت ورايت ما رايت لم أهنأ قط .. وحدثت إلى دارنا لأنام 1..

إني لا أتصور أي أحق كنته في تلك الأيام .. على أنني في الصباح الباكر لم أتمس أن أتمز على بيت لشي لأسال زوجته عن حاله ، فقلت وقد أشرق وجهها :
- الحمد لله ..

- لم يستيقظ ليلا ؟

- نائته الفداة عدة مرات فكان يقلب في الفراش لكنه

لم يلهض ..

- رائع ا

قلت لي وقد بدا عليها الشرود .

- لماذا لاتعطيه هذا العلاج .. الحقنة - كل ليلة ؟

فكرة لا بأس بها . لكنها ليست حلاً على الإطلاق ، ليس التصاراً أن يقضى الإنسان حياته تحت تأثير الفينوبارينون حتى لا يسمع صوت الفداة ، دعك من أنها جريمة .. جريمة أن تدفع إتساق الإيمان لمجرد أن نطمئن أنت ... ولكن ماذا نفعل كي لا يهرب ؟

انهمكت في شطلة ، وحيثها واتصرفت ..

كما هو متوقع انتشر خبر عودتي للقرية كالنار في الهشيم ، وعلى الفور ازدحم الفقراء الضيق لدارنا بأهالي القرية الذين جاءوا حاملين أوجاعهم على أكتافهم والامهات التواني بعائل أطفالهن الإسهال والمراهقات التواني يؤرقهن النمش على خدودهن ..

الواقع أن كل مخلوق في القرية فتن في جسده من علة ما تسمح له بالحضور لأقصه ، وبالطبع لم ألتزم حلم انتقاض ملوما لأن هذا هو حق أهل قرى الذي لا جدال فيه ..

لقد جعلني هذا الخلق شياى الأول كطبيب وحده ريفية

وفي الحجرة التي على يمين الداهل لدارنا أجدت ما يشبه عبدة خارجية صغيرة ، وشرعت أمارس لمرار مهنتي المظمنة في حين أخذت أختي تعد الشامى لعيانت منقاة من الزايرين

وعند العصر كان ضغط العمل قد ركز .. وكنت أنا قد انتهيت .. فلزمت الصعود إلى حجرى للراحة توطلة لأن أذهب لأشى (رضا) ليلا

الفتح الباب ودخل ثلاثة رجال يهتفون عليهم القردة ..
وقال لي أنكرهم سدا :

.. نحن نريدك في زيارة ملازمة ياكتور
ابستمت وهزئت رأسي :

.. هل يمكن تأجيل هذا إلى المصاء ؟ ، إتلى -
.. أرجوك ..

فلما في صوت صملي الحرب للامر ، وتبادلوا النظرات
المريرة فيما بينهم .. هؤلاء الرجال يخفون شيئا مريباً ،
وهو - كالعادة في الأفلام السينمائية - واحد منهم مصاب
بطلق نارى في أثناء معركة مع البوليس ! لكننا لسنا في
فيلم سينمائي لهذا حاولت مرة أخرى التملص :
.. هلنكم الوحدة الصحية ، و ..
.. أي مبلغ تريد ..

إنهم مصريون .. على كل حال فإن فلاحى الشرقية
مسالمون وكرماء .. ولا جدوى هناك من رفض رؤية
مريضهم هذا لأنهم مصريون كالموت ذاته وأنا لأحب
الظهار ، على الأقل مع أهل قريتي ..
.. إذن هيا بنا -

وحدثت حظيتي .. وخرجت معهم ..

.. تلصص يابيه .

ثمة امرأة تخطى وجهها بطرحة سوداء ، وعدد لا بأس
به من الرجال جالسون في وجوم وصمت يدخلون
ويتبادلون نظرات ذات معنى . ثم نصب تصميم الغرف
الطبية الموجودة في دارنا . وللبط الذى يمرح بحرية
تامة . وكان هناك منظر كريمة الراحلة يلود لغرفة جانبية
مفروشة بالحصى ، وعلى الأرض تمدد شاب وميم في
مقنبل العمر يحضى في السقف بعينين لا تطرفان . سألتهم
وانا أنظر للشباب :

.. هل هو المريض ١٢

لم يرد أحد تعبيراً عنهم عن بلاهة سؤالى ، فقررت أن
أزيد الأمر سوءاً بسؤال أكثر سطفاً .

.. ماذا به ؟

.. كما ترى . ؟

.. منذ متى ؟

.. أسبوع .

الحديث عنه فلم أستطع فحصره ، اضطررت إلى
الركوع جواره وبدأت بمحاولة تنبيهه فلم أفلح . نص
الأعراض المعينة .. هل هو وباء يحتاج للقوية ؟ منعت
بني لمعصمه لأفيس نبصه فوجدت شيئاً مروعاً . قبل

من التليف حول معصمه يثبته إلى وتك خنثى مدلول
فى الأرض ، لقد قننوا هذا التلى كحيوان مفترس كى
لا يقر .. وبالحا من فكرة ١

رفعت عينى إلى الرجال الواقفين حولى وسالت :
.. هل .. هل نبنته للنداهة ؟؟

تبادلوا نظرات التكدير تى ، ثم قال أكبرهم ولد النمطت
لماريه :

.. أمه تقول هذا .. لقد سمعتها

.. ولماذا استعديتمولى إذن ؟

.. كى تثبت هذا أو تنفيه ..

اثبت هذا ؟ . وكيف أثبت هذا وأنا لا أصحب منه
حرفا ؟ وفى أى كتاب علمى نجد وصفا دقيقا لأعراض
مرض (النداهة) ؟ .. لأملت التلى المفرد فى رهبة .. إنها
أسطورة مرعبة .. وفكرة هذا التلى البشع تكريه الرعب ،
جالت بفكرى رهبة (أوليس) (*) حين كان عليه
المرور أمام سفرة عرائس البحر اللواتى يفتن ضلوهن

(*) (أوليس) أو (أوديسيوس) بطل ملحمة هوميروس
(الإلياذة) و (الأوديسة) فكتن تكتن عن حربه فى طروادة ثم
هجمته اللذلة إلى زوجته المخلص (بيلوبس) .

البحارة فيرمون بأنفسهم فى الماء ليفرقوا بضطر
(أوليس) إلى تقييد نفسه ورباقه بالسلاسل إلى صواري
السفينة كى لا يسبوا لنداء عرائس البحر الطائن ، إن
السلوك البشرى الأسطورى يتشابه فى محافظة الشرقية
وفى بلاد الإغريق !!

ما علينا

واصلت فمض التلى ، وعريت الجنباب عن بطنه
فوجدت شيئا ما أثار أنياب حادة مزقت اللحم أسفل
الصرة لكنها التصمت تماما . وهكذا بدأت أفهم
ما هناك ، سألت الرجال فى حذر
.. هل يشرب ؟

.. لا .. إنه يرفض الماء تماما ..

.. إذن هاتوا لى بعض الماء

جروا - فى حماسة مبالغ فيها - ليحضروا لى قلة
الماء ، ناولوها لى فى شك مذهلين من تحصى للخراب
فى هذه الظروف

امسكت بالقلة وقربتها من وجهه ثم بدأت أمسك الماء
ببطء أمام عينيه المدعورتين . وكما تولعت بدأ وجهه
يتقلص نظرة مربعة فى عييه . صرخة صامتة على
شفتيه ، ثم نهض جالسا وهو يعوى ويبس كالذئب
الجريح

أبعدت القطة عنه وشرعت أضنه

تهست وجمعت حاجباتي في صمت . ثم أشرت لأخبر
الرجال كي ينهضوا للخارج . وهناك أمدم عيون كل الواقفين
قلت له :

- ليس هذا نداء النداهة يا حاج ..

- إذن ما هو ؟

- إنه مصاب بالكلب ..

- الكلب ..؟

- نعم . حيوان مصور عرضه في بطنه منذ بضعة
أيام (*) |

- لم يحدث ..

- بل حدث ، ولربما تجاهل هو الأمر ولم يأخذ المصل
المضاد لذلك . ، والآن هو في مراحل المرض الأخيرة .

- وموضوع الماء ؟

- هذا المرض كان يسمى قديماً بمرض (خوف الماء)
لأن المريض يحتاج من صوت الماء أو منظره ويتجنب
بهذا الشكل للشئ . وكذلك ثورات الهواء تحدث تقلصات
بالسوية شديدة .

(*) قد يحدث مريض الكلب نتيجة حصة القلب أو الفار أو
السحاب أو الحمل وليس بالضرورة الكلب

وأشعلت سيجارة مستطرذا وشاعرا بالفخر من نفسى
- وهذا الأهل هو عرض التهاب الصغ المصاحب
للمرض .

ثم بيد عليه أنه فهم حرفاً مما قلت . ولم يكن يعنيه أن
يلهم . كل ما كان يريد هو أن يعرف : ماذا يفعل ؟

- يجب نقله فوراً إلى إحدى مستشفيات الحميات
بالزقازيق .

- ولكن

- فوراً . | . إن احتمال لجأته لا يتعدى النصف بالمئة لكن
يجب أن نحاول .

- ولكن ..

- فوراً . | . إن حياة هذا الفتى بين أيديكم الآن .

قال أحدهم في لظافة وتحد .

- لكن أمه سمعت النداهة يادكتور ..

التفت إليه في غيظ وصمت .

- إذا اعتقدتم في وجود النداهة لهذا شأنكم . لكن هذا

الفتى مصور . هل تفهمون هذا ؟ وإن يعنى ليرى

صلاة الجمعة القائمة |

- والعمل ؟

- سبحان الله . | . قلت لكم مستشفى الحميات |

٥ - الدكتور (عاصم) ..

كان أتولت وقربت من المصابة مساء حين اتجهت بسيارتى للوحدة الصحية فى قرأتى ، وهى مبنى عتيق متهدم كانت الرطوبة تأتى على جدرانها ، وأحد من مئات المباني المعاللة على شكل حرف (ت) الإنجليزية تملأ ريفنا الطيب ، وتقدم للفلاحين خدمات محدودة جدًا .

لم يكن هنالك عمال ولا خبراء من ثم صنعت فى السلم المتحطم إلى الطابق العلوى حيث سكن الطبيب ، وكرعت الباب فى كياسة لحظة .

وصمت خطوات بالداخل ، ثم التفت مزلاج حديدى . وسبى لى وجه الطبيب فى ضوء مصباح الجاز الذى يحمله كاس شاي فى منتصف العقد الثالث من عمره لكن شعر رأسه قد زال أو كاد . وعلى عينيه نظارة سمكة جعلت جفونه تبدو أصفر وأضيق مما هى عليه ، وكانت دفنه نصف نامية .

- أفندم ؟

- نعمت بتعريفه على لطفى فابتسم لى فى مودة ، ودعائى للداخل وهو يصيح :

ودارت مناقشات جانبية شديدة الحمق والضياء ، من الواضح أنهم لن يخطوه لى مكان وأننى ساصطر إلى إبلاغ المركز عن احتجازهم لمريض فى حالة خطيرة ، لكننى - فى قرارة نفسى - وعدت لو كان بإمكانى أن أجد نفسيًا لحالة أسمى بهذه المرحلة والمسهولة . أعرف أن هذا لم ينجو من مرض الكلب فى تاريخ الطب حتى اليوم ، لكن رغبتى فى إيجاد حل لمشكلة أسمى كانت شديدة الإلحاح ..

انتهت المناقشات ، من ثم تقدم أكبر الرجال لى وصافحنى فى حزم :

- شكرًا يادكتور . ولعل كم اتعابك ؟

طلبت رقمًا فالتحا لأننى احسست أن من وجبى أن استقم من هؤلاء الحمقى إلا أنه دفعه عن طيب خاطر . وأمر أحدهم أن يرافقتى إلى دارى ، قيل أن أنصرف لى لى - الصبح أن نأمن بالتداهة لأنها لا تنادى إلا من لا يصدفون وجودها !!

★ ★ ★

- عرفت الآن لماذا لم أر مريضاً واحداً في هذا اليوم

اللعين !

وقد انشأ إلى غرفة نظيفة بها فراش جواربه بعض للكتب والمجلات ، وموكة كبيرتين عليه وعاء شاي أخذ في الفليس ، وعلى الحائط تحرك برص صغير أرعجته أصواتنا ، من الواضح ان الطبيب كان رالداً في الفراش يقرأ حين أتيت ..

في هرج أراح جزءاً من الملاءة ليصمغ لي بالجلوس على الفراش ، ثم شرع بزيادة كمية الشاي في البراد ، وخلع شيشيه وتربع جوارى على الفراش وهو يسيب عمال الوحدة مدياناً مقدعاً لم يصب لم أفهم ما هو ، الخلاصة أن استقبالي كان شديد المودة على قدر إمكانياته .

قال لي :

- أنا الدكتور (عاصم فحسي) هذا ثالث عام لي في هذه القرية . إنني سمعت أنك يا دكتور (رفعت) الكثير الكثير جداً ..

هزئت رأسي في تواضع وغلت

- لقد جئت لاستشارتك في أمر صغير

صعقت في سروري :

- الأستاذ العظيم يطلب استشارتي . - - إلى من

محظوظ !

قلت في جنبتي :

- الأمر جد لامزاح فيه ..

- وما هو ؟

حكيت له قصة مريض القلب وموقف أهله ، ثم سألته :

- ما هو التصرف الإداري في حالة كهذه ؟

نهض ليصوب الشاي في كوبين معنفاً فرقة محبة

للنفس وقال :

- كم معلقة سكر ؟ . - - - - -

التصرف الصحيح هو إبلاغ المركز ويتم ترحيل المريض

إلى مستشفى الحميات وعمل محصر لأهله .

هذا هو الحل الصائب ولكن .

- ولكن ماذا ؟

نظر لي نظرة حادة وغمس

- هل يتوقع فائدة ما من هذا ؟ - - - - -

مراحل المرض

- وما معنى هذا ؟ ..

- معناه أنك ستسبب مشاكل لأهله لا حصر لها لأهله ، كفاهم

ما هم فيه

- وتتركه يموت ؟

- أنه سيموت على كل حال ، أنت - - - - -

القرية لكنك لا تعرفها

وناولنى كوب الشاي ، ثم تهدد وأرشف .
 - فى الويف يجب أن يتعلمى المرء بشيء من
 المرونة ، إن لهذه القرية قانونها الخاص غير
 المكتوب

قامت الغرفة حولى ملكزا . إن فى كلام هذا الفتى شيئا
 من المنطق لكن مشكلتى لم تلتئم بعد ... فلت نه وأنا أرشف
 الشاي !

- هل سمعت عن الدعاة ؟

هز رأسه وشبهج ابتسامة تتلاعب على لفره ..
 واصلت السؤال :

- هل قايضت حالات مماثلة ؟

إذابت الابتسامة انمعا . ثم إنه نهض إلى مقعد
 خشبي صغير جوار الفراش تكلمت عليه الكتب
 والأوراق ، وتناول كراسة صغيرة متهرلة الغلاف . وعاد
 للفراش ، وقال

- ماريك الآن شيئا لم يطلع عليه أحد من قبل ..

- وما هو ؟

- إنها كراسة مذكرتى .

وشرع يقلب الكراسة .. أوراق عديدة بخط صغير أنيق
 مليئة بكلام غارخ رسوم لوجوه لفتيات ، وأبيات شعر .



مجن ليحب الشاي في كوبين عددا لفرقة عبة للنس وقال

- كم معلقة سكر ؟

وعلاكم من أمه وعذابه وتدمه على أشياء كثيرة لا يهتمنى
أن أعرفها . بالكثرة ١ . من المستحيل أن يقاوم إغراء
قراءة كتاباته على أننى المحجوز المنهكة .. فلقد ألقى إليه
القدر بمستمتع معنوه فى الثامنة مساء وهو لى يتركه يقلت
أهدا !

لأنه لم يثل على شيئا لحسن الحظ بل قلب الكرامة
إلى صفتين فى الملتصق وشرع يقرأ وهو ينظر إلى
من حين لأخر !

- فى أكتوبر ٦١ أصيب (الزغبى) فرحات وهو فلاح
فى المصاصة والثلاثين من عمره بمرض غريب .
الأعراض . شروء تام ، وتفصال عن الواقع لا يأكل
ولا يشرب ولا يتكلم .

الفحص كل العلامات لتجريبية سليمة . الحالة
العصبية سليمة . لا توجد علامات لظواهر مخدرة من أى
نوع ..

الأبحاث . السكر ووظائف الكلى والمائل الخاصى
تشوكتى على مايرام ..

تاريخ الحالة يزعم أهل المريض أنهم سمعوا نداء
لمراة يدعو باسمه قبل ظهور الحالة بدقائق .

فى نوفمبر ٦١ نام أهل البيت . وحين استيقظوا لم
يجدوا المريض فى البيت ولاهى أى مكان .
ثم إنه قلب الصفحة إلى صفحة أخرى . ورشف جرعة
من الشاي .

- فى فبراير ٦٢ تتكرر القصة مع (مسعود جابر) ..
عامل بناء فى المصاصة والعشرين ... نفس الأعراض
وكل شيء ..

فى مارس ٦٢ . حادثة معاشة تحدث (إبراهيم
المطرا) . مراهق فى الثالثة عشرة من عمره .

فى إبريل ٦٢ . (رضا إسماعيل) . فلاح فى الرابعة
والثلاثين هو فى هيبوبة الآن لكنه لم يزل بعد ..
فى كل حادثة من هذه الحوادث ذكر أهل المريض اسم
النداهة ..

ما هى النداهة ١٩

النداهة هى إحدى الشخصيات المرعبة فى الانبى
الشعبى ، وهى - كما يجمع من وصفوها - شولة تتكرر فى
شكل أنثى حسناء .. تتجول ليلاً فى الحقول المظلمة
وتنادى شاتها بعينه باسمه مراراً ، ما إن يسمعها الفتى
حتى يهرع للحاق بها على الرغم من أهله . فإذا ما لاقى
الفتاة وارتضى فى أحضانها تحولت لقول ضخم ينتهمه حتى
العظيم ..

توجد شواهد عدة على وجود كائن له هذه المواصفات ..

(محمد أمين) - فلاح عمره خمسون عاما - شاهد في حقله ليلاً امرأة طويلة القامة تمير في تردة وتنادي : (زغبي) .. (زغبي) .. وهو يقسم إنها كانت تتبع بلون أخضر مخيف ، طبعاً لم يجرؤ على أن يذهب إليها بل عاد لبيته ليكثر بأعطيته ويكتو الادوية .

(المسيد الشرفاوي) - بقال القرية - في أثناء عودته ليلاً جوار الترعة شاهد فتاة حسناء تمضي فوق مياه الترعة ولا تفرق ...

(أحمد عيسى) - فلاح - سمع صوت نداء امرأة يرنند (إبراهيم) .. (إبراهيم) ! فخرج ليرى ما هناك ، وجد امرأة وألفة في الحقل وحدها . اتجه ليمسأها عما تريده من (إبراهيم) .. استدارت له بهبط .. يقول إنه رأى أجمل وجه رآه في حياته لكن . حلفتها .. كأننا حمراوين بلون لثيم ، وأن العائم كله دار به حين رأى المشهد . ولم يدر إلا وشقيق زوجته يحمله إلى داره مخشياً عليه من هول ما رأى ..

الطفل (صبي محمود) - ٩ سنوات - شاهد امرأة تعبر حقل أبيه ليلاً في ضوء القمر دون أن تترك ظلاً . قلت في مخبرية :
- إنه طفل قوي الملاحظة حقا ..

لم يبد على الدكتور (عاصم) أنه لاحظ مغربتي ، وواصل القراءة :

- في كل الحالات كان هناك نداءان .. الأول يلدى بالمرض إلى حالة الذهول ، والثاني هو النهائي الذي يختفي بعده .. الفاصل بين الندائين هو أسبوع إلى أسبوعين ..

بعض أهالي القرية يقنعون (المنذوء) لثمة من الاختفاء ، وبعضهم يحرصون المريض حراسة محكمة .. لكن هناك لحظة ما من الإهمال أو النوم لابد أن تحدث .. عندئذ ينتهي كل شيء ويغز (المنذوء) .

- ألم يحاول أحدكم مطاردة صاحبة الصوت ؟
- بالطبع لا .. لأن الأسطورة حية في نفوسهم ، وهم وثقون أن من يعوق النداءة هن نداء صليها سيكون قريستها القاتمة !

ورشف لثمة الشاي من كوبه . وقلب الصفحة .
- هناك عدة احتمالات لهذا الذي يحدث ..
الاحتمال الأول : هو أن النداءة كائن حقيقي .
- احتمال غير مقبول ..

قال لي وهو يضع الكوب جانبا ليغير وضع جلسته :

- أو افك على هذا . لكنه الاحتمال الوحيد بعد استبعاد الاحتمالات الأخرى . وهي مضطربة كما سترى .

الاحتمال الثاني : أنه وباء لا يعرفه اجتاج القرية وأعراضه نفسية تماما مثل وباء الكوليرا (*) في وسط إفريقيا ، وفي هذه الحالة فإن الأمر يستدعي إبلاغ من هم أقرب منا ، كمصلحة الصحة العالمية أو التمرو (**) ..

الاحتمال الثالث هلوسة جماعية أصابت الكل وهو احتمال عسير وصعب التصديق .. لكنه الأفضل من الاحتمال الرابع ..

الاحتمال الرابع : أن هناك عدة جرائم قتل نظيفة تمت باستغلال هذه الصورة الأسطورية وأن هناك قاتلا عبقريا قام بزخرفة جرائمه بحيث لا يتطرق الشك إلى أحد أن هناك لذهاة حكيمة ..

قلت له متأنبا

(*) (الكوليرا) وباء فيروسى يصيب المبخ ويصيب ضعفا مشواصلا حتى الموت ، وهو ناتج عن عداء إفريقيا قديمة عن كل مع الموتى لولا لائقاء لهم

(**) (التمرو) NMRL وحدة الأبحاث الطبية للبحرية الأمريكية للبحرية الأمريكية

- لقد اجدت عرض الحقائق لكننى أعقد أن الأربعة الاحتمالات كلها خيالية ومتناقضة

- الاحتمال الخامس : هو أن لكل حالة نفسيا على حدة . فالحالة التي رايتها اليوم كانت مصيبة بالكلب ، ربما كانت الحالات الأخرى تعانى أشبه أخرى لم أعرفها لنا

تظرت لماعنى .. كانت القاسية تماما وتكررت أخرى إن ما يجهل يظننى الآن هو شيء واحد أن أذهب إليه لأقوده في فراشه ويرجع لماضى مما قد يكون وما قد يحدث ... إن عرض الطبيب لمعلوماته كان جيدا منطفا لكنه لم يقدم لى الكثير ... وثامت الكتب التي وضعها جوار الفراش على الكرسي بالها من مجموعة غريبة . كتاب (كلمتى) لأبول (هتلر) وبعض كتب (نيتشه) (*) .. ومجموعة من روايات الخيال العلمى . وبعض المجلات الطبية أكثرها عن علم العقاقير .. وأربعة نواوين شعر ..

(*) (نيتشه) فيلسوف ألماني اشتهر بدعوته للقوة ونقد الضعفاء والمرضى من المجتمع . وفلسفته فلسفة طير إنسانية كانت هي أساس فكرة النازية التي تبناها (أبول هتلر) ، واشهر كتب نيتشه هو (عقله تكلم رويدات)

نظرت له وقت :

- شكرًا على عرضك المشوق وعلى استقبالك ، لابد لي أن أقصر فـ ..
- لكننا لم نتحدث بعد ..
- فها بعد .. لقد كان يومي شاملاً
- نعم .. أعلم هذا وأسف له ..
- على كل حال متجملني هنا مراراً ..
- وكما من الوقت ستقيم هنا ؟
- التوابع أنني لا أرى .

وهرشت رأسي في تعب ، من الشريب أن هذا هو يومي الثالث قطع في القرية .. كأنه دهر .. قلت في إنهاك :
.. المفروض أن أجازتي من الجامعة هي أسبوعان .
إلا أنني سأظل هنا حتى أحرف كل شيء عن الد .
وقبل أن أخبره بقصة أخي تلى الباب في الحاج ..
تركني واتجه لفتحته حاملاً المصباح ، وظننت وحدي في الظلام أسمع محادثة هامة بينه وبين ما يبدو أنه أحد عمال الوحدة وقد عاد من جوبته في الخارج . بعد دقيقة عاد لي والمصباح يلقى ظلالاً مرعبة على وجهه . وقال :
- ما هذا هذا (مصطفى) خطير الوحدة . يعتذر عن إصراره النزول إلى القرية لأن أهلها نأوه للبحث عن شخص ما معهم ..

- شخص مختلف آخر ؟

- بالفعل . وانت تعرفه جيداً

أخى (رضا) ا . هل حدث هذا ؟ .. ولكن الطبيب لا يعرف بعلاقته بي .. ولم يربط لحظة بين اسمي (رافقت إسماعيل) و (رضا إسماعيل) .. إذن من هو ذلك المظفود الذي أمره أنا جيداً ؟

- هل تذكر الفتى المسحور الذي رأيته عصر اليوم ؟
- بالطبع .
- حسن لقد لي لقاء الفداه منذ ساعة ؟

- مزرعة تكفي لقتل مئة رجل - فلم يصب بشيء ولا حتى
عصر هضم (١٢) ، وهكذا نُهر العظم لأسباب لا يمكن
تفسيرها !

لحسن المواقف يتكرر معنى على نطاق أضيق .
أنا أعرف أن التهاب المخ المصاحب لمرض الكلب
يسبب جنونا مؤقتا . وقد يفر المريض من ذويه ، لكن
هذا يحتم أنهم سيجدونه ميتا في مكان ما بالقرية خلال
أربع وعشرين ساعة .. فإذا لم يجدوه فمن يتقهم ان
ما حدث هو أمر لا دخل للنداهة فيه !
بالبحيرة ..

في الصباح ذهبت - محمرا العينين مشوش الشعر -
للإطمئنان على أخي ، فطعنت في (تجاة) الباب .. فما أن
رأيتني حتى ابتسمت في ثشف . وهنكت .
- سمعت أن ابن أبي عبد الرزاق قد نادته النداهة
أمن

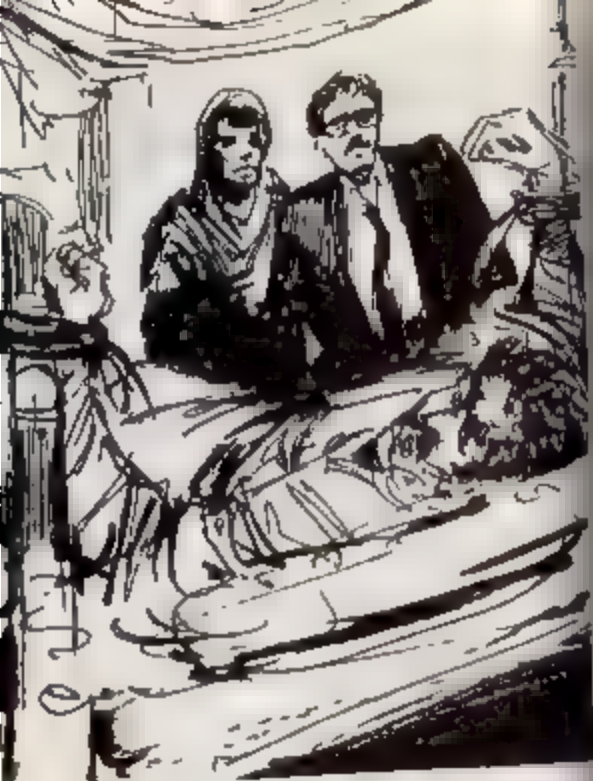
قلت لها في ضيق معانينا :
- الناس تقول صباح الخير أولا

(*) قصة حطتها .

حين عدت لدارنا في ساعة متأخرة من الليل بدت أسي
لللغة من منظري المشوش المصطرب ، وشرعت أخشى
- بعينين حمراوين من شر المسهر - تسألني عما هنالك
حتى أنني جعلتني أقسم إن شيئا ما لم يصب أخي (رضا)
لكنني لهما انسى منهنك لا أكثر .
وفي غرقتي المتواضعة بجدرانها المطلية بالجبر
الأخضر جلست أبكى واتصلح كتبي التي لم يمسهما بعد منذ
أيام مرهلتني ..

بالهزيمة المروعة التي تلتها تشخيصي بعد أقل من
أربع ساعات لقد فر الظمى مليبا لدام النداهة ، وبالطبع
يقوم أهله الآن بتوجيه اللصاح إلى ذلك الحمار المصروب
- الذي هو أنا - الذي رعم ان ابهم ممعور وبالتالي جعلهم
أقل حذرا في تعاملهم مع الفتى . أنا لا يصابني أن يقال
إنني لا أفقه شيئا ، فلطالما قبل ذلك تكلمت ككراه أن تهزم
الحقائق العلمية على يدي وبهذه النسوة

حين نادى (كوخ) العبقري الألماني بالمرش
الكونيبر تصيبه باكثريا واوية تحباه أحد خصومه
وشرب مزرعة كاملة من باكثريا الكونيرا امام الشهود



ربطت مصحفه في عمود السور بإشارته من الحرير وكان ثلثنا
مفرح الغم ، وقد بدأ منيكا إلى أقصى حد

واصليت الكلام في قصوة :
- يقولون إنهم أراهم رأيت لكك قنت بن حيوانا
مبعورا عنه .

- حتما ؟

- أي أنك لم تعرف ..

- هذا يدعو للظن ..

ونفرت في عندها . وضغطت على أسناني ، ثم
تعمقت :

- (نجاهة) ٢.. ماذا تريدون ؟ ما الذي يمزك في هذه

القصة إلى هذا الحد ؟

هل أنت سعيدة إلى هذه الدرجة للطفل الذي زوجه ؟
شبهت لفترة . وتم تمر ما تقول ، من ثم خلصت
رأسها ودعته للظن ..

- لا مؤخذة كنت أتحدث من ظلي

- وعذت الأولاد الذين يبعون من ظريفي وارتدت

- أنت لاتصل . ولهذا قنت ما أقول . لا مؤخذة ؟

ومثلنا شرفة أخرى ، وكان كل شيء كما هو سوى أنها

لمعت الشيء الذي كنت أريد أن أفضله .. ربطت مصحفه في

عمود السرير بإشارته من الحرير .. وكان ثلثنا مفتوح

الغم ، وقد بدأ منها إلى أقصى حد

قالت (نحاة) مقبرة :

- ظل طوال الليل ينهض ويتقلب ، لهذا اضطرت
للتبديد .. ظلت الملعونة ثلاث ساعات تذابيه أمس .
- وهل (رضا) عاجز عن فك هذا القيد الحريري ؟
- إنه ضعيف جدًا . ألم تحفظ هذا ؟ ثم إن مخه
مشوش ولا يستطيع حتى معرفة كيفية فك هذه العقدة
- والفتى إياه .. ابن أبي عبد الرازق .. لقد كان ملبذا
وهرب ..

- كلا . لقد فكوا قراعه على كلامك ! تركوا الغرفة
خمس دقائق ليتفكروا على ما يظنون . حين عادوا للغرفة
لم يجدوه ووجدوا النافذة مفتوحة ..
ثم سمعت عيناها وهمت في غيظ :
- وأنت قلت إن حيوانا مسعورا عضه ؟

قال د. (عاصم) في ثقة :

إن أربك العلمي لا يقبل التشكك ، إن الحمى المخفية جعلته
يهرب . ونحن كيف نخضع هؤلاء الصمغى ؟
كف جالسين في غرفته بالمعبدة ، غرفة الفحص .
وكان زحام العرض قد بدا يقل وكان وجهه في نور
الصباح أكثر بضاعة مما رأته ليلًا .. كأنه بومة عجوز
متشككة ترندى للمخلف الأبيض

قلت له في سرود :

- عذري فكرة ما ..

- ما هي ؟

- أنت مهتم بهذه الأسطورة مثلي تماما

- طبعا ..

طراقت المضدة بمجمع قبضتي ، وصعقت :

- لحتاج إلى الكثير من الصبر والتأني ..

- لا ألهم ..

- قلت لي بالأمس إن هناك مريضًا لم يلبّ نداء النذاهة

بعد ..

- نعم واسمه (رضا إسماعيل)

لصالحًا لم أخبره أن المدعو (رضا إسماعيل) هو
أخي ١٩ .. لا أنرى إنه حالف حظي لأنريه جعلني أفل
هذا ، نفس الحافز الذي جعلني لأأخذ حقلتي إلى بيت
الدكتور (ريتشارد كامنجر) في بوركنشاير وهو نفس
الحافز الذي جعلني أقرر التثبيت في الحالة القدرة في تلك
القرية الرومانية الهلنسية ، وقد أقسمت - ملذ من بعد -
أن ألبس دائما تلك الحواضر الغامضة لأنها تصوب دائما .

قلت له :

- منقوم بترتيب أنفسنا ... سنلوح لوجهيات شهر
لقوم فيها بمرحلة المنطقة المحيطة بداره ... وإذا ظهرت
هذه التداة المزعومة لسنلقى القبض عليها فوراً .
نظرت لي لحظة ليري أن كنت جاداً . ثم حرش صلاته
مفكراً .. وقال :

- إنها خطة مرهقة ..

- بالفعل . لكن لا أتوقع أن يقوموا بالتفكرنا أكثر من
ليلتين ..

- وحالات الطوارئ التالية ؟

- يمكنك أن تغبر حاملاتك بـ ~~هناك~~ بحيث يستدعيك

إذا ما اقتضى الامر ذلك

أحد يفكر قليلاً . وفي هذه اللحظة سالت ممرضة
حسان الغرفة حاملة زجاجة صغيرة بها ترمومتر ..
وما إن رأتني حتى هزت رأسها محيرة إياي والتفتت إلى
الدكتور (عاصم) فالتفت بصوت مبحوح :

- لقد انتهت آخر التكتوف يا (عاصم) ..

- يا (عاصم) ؟ .. وإزاء نظرة الدهشة التي ارتسمت على
وجهي هلن وجه الدكتور (عاصم) وأشار لثلاثة قاتلا :

- معذرة . لقد نسيت أن أقمها لك .. (عواطف)

زوجتي ..

ثم عاتبها باسمها

- (عواطف) كم مرة قلت لك ألا تقابلي باسمي

مجرداً أمام ذلك ؟

ضحكت في دلال وقالت بلهجة قروية جريئة وهي

تتصمخ رقبتها :

- إنني أعرفه (رفعت) جيداً إنه ابن القرية وليس

غريباً

هزرت رأسي محيرة إياها بما معناه (تكرها) . ثم

سألتها :

- هل تعرفين أسرتي ؟

- ليس تماماً .. إني أصلاً من فالومس .

شيء غريب .. لم يجل يطغوى أبداً أن الرجل

مفزوج ، أن ينظر طرفته التي لمهنتها بالأمس وملوأل

حياته بوعي بالعزوبة . وابن كانت زوجته ليلة أمس حين

كنت هذه .. ثم إن لدى بعض التعقيلات على زيجة كهذه

قد لا تمنح أقصى درجة من التكامل الثقالي والاجتماعي

نكس مالي أنا وهذا ؟ . إنها سعيدان وأنا أفهم ما تطغه

فوحدة في النفوس ... على الأقل هو قد اكمل وجوده

السيولوجي أما أنا فما زلت طفلاً بلهو جوار بركة الحياة
فأنا في حب حجازاً من وقت لآخر لكنه أبداً لا يجد الشجاعة
لومسح فيها ..

قال د. (عاصم) وقد خمن نصف ما أفكر فيه :
- إنها بنت حلال تكلمتني تماماً ولا أرضى عنها
بشيء

ثم قال وقد خمن النصف الآخر
- أليس كانت قد نزلت القرية لإجراء ولادة عاجلة ،
إنهم هنا يفصلون أن تقوم قابلة أو ممرضة بذلك

- فهذا لم أرها ليلة البارحة
- ولهذا أغلقت سكن الممرضة تماماً لأننا نعيش سوياً
في سكن الطبيب فقد صارت هذه الغرفة الصغيرة بيتاً
لناظر ..

مضت بدى أعيت بالترموستر الذي في الزجاجاة ثم
جلت

- إن متى يبدأ مشروعك الصغير ؟
- قليلة إذا أردت !

- إنه الليل ...

مرة أخرى يعود هذا الكيان الغامض الأسود الملهم
بالأسرار .. في شرفتي أرندى ثيابي استعداداً للعاصف
بالتكتور (عاصم) عند الوحدة الصحية . ارتديت هذا
خافياً ووضع في جيب مصباحاً كهربائياً ، وتأكدت أن
معي من السجائر ما يكفي لمهرة طويلة قاسية
ثم إنني فعلت الشيء الذي لم تكن أعتقد أنني سأفعله
أبداً من بطانة حقيبة الكشف أخرجت منكم الصغير
الذي قمت بتخفيته بعد مفارقتي مع الكسولت
(مراكبول) . وتأكدت من عشوه ثم نصحته في جيب
لما الخطوة التالية - وهي الأهم - فكانت أنني فعلت
المصحف الصغير الذي أعطتني إياه أمي ، ووضعته في
جيب البقعة الدخلى ..
لقد استعدت لكل شيء ..

٧ - المقابلة ..

عند الوحدة الصحية الجائئة كشبح أسود فى الظلام
قالبته .. كان واقف وقد ارتدى (بول أوفر) اسود على
الرقيقة ، لأحب كثيرا قضاء الليل مع هذا الخفافش الأصلع
لكن لا مفر لى إن زوجين من الأعين هما - عتما - أصل
من زوج واحد حتى إذا كان كلاتا ينظر للعالم من خلف
زجاج نظارة ممبوكة ..
- هاإذا ..!

صحت به ، فوثب فى مكانه ملتحبا وشرح بهسمل
ويحوفل ، بالك من بهله ! إنا لم لهدا بعد .. وما إن
تعرف على حتى وجه سوء البطارية إلى وجهى وشرح
بضحك لى هستيريا مرئذا
- لقد قللتك هى ..!

- هذا هو ما لويده بالقفل ..
- لقم أنا سعيد أنك لست هى - ؟
- د . د (عاصم) ..
- نعم ليهيا الزميل ..؟

- إن كونى لست هى لا يعطيك الحق فى إصبعتى بالعصى
بهذا الكشف !

استكره معتزلا ، وأطلقا لكشاش وقد بدا عليه الخجل ،
وبينا فى صحت السير على الطريق الترابى المؤدى إلى
دار لهى .. كان قد وصفه لى بدقة صباح اليوم ونقاهرت
باننى أجهله ، وبعد دقائق بدأ صوت نهائى يتعالى فلم يكن
ولحد منا يتمتع بتوافه طيبة ..

لأحب كثيرا هذا الصمت المريب ..

ومن بعيد لاحظت لنا دار لهى ، كنيبة حلينة مسربة
باللون الأسود . نظرت له وهضمت مشجوا إلى الجهة
التربية .

- فنتوغل أنت فى هذه المزروعات ولتتظار هناك .

- وأنت ؟ ..

- إذا حدث ما يريب عليك أن تصدر صوت البومة .
وإذا كان الخطر داهما فلا عليك اصرخ

- وأنت ؟

- سأنتوغل أنا فى حلق الذرة القبلى . II

الحلق القبلى هو المكان الذى سمعت منه ذلك الصوت
بنادى لهى - توغلت بهن أحوال الذرة التى تتجاوز
بارتفاعها قامتى . صوت خرقة الأوراق الجافة وأشياء
قاسية كنصل السكين تخفش وجهى ، سيكون من الصعب
رؤية أى شيء من هذا المكان . حتى ولو كان هذا الشيء
على بعد سنتيمترات من وجهى ..

فلتلت أتوغل وأتوغل حتى وصلت لمساحة خالية في
الحقل فتوقفت وقد تصارعت دقات قلبي من الالتعالي .
رفعت راسي للسماء فرأيت النجوم واضحة مميزة كما
أراها من قبل . ومن بعد استطعت أن أرى بيت أبي وحيدا
بالعنا مسربلا بالظلام ..

لم يكن هناك قمر وأنا أفضل تلك . لأن الظلام
الدائم لا يخيف إن ما يثير الهلع هو الأضواء الخافتة
الظلال لأنها تثير الخيال . تذكرت قصة الغرفة الحمراء
لـ (هريوت جورج ويلز) حين كان على البطل أن يلقى
ليلة سيواء في غرفة مملوكة بالاشباح . وقد أصاب
شموعها كثيرة لتولس وحدته لكنها زابت رغبة حتى كانت
تزدق به للجنوب حين كان عليه أن يواجه الظلال التي
يحسها لتطفاء شمعة من حيث لا حذر !

نعم . أن أفضل للظلام الدائم بلا شك . الظلام
الدائم المتجانس المسطح . إن إيقاد شمعة أو مصباح
جاشت أو ضوء القمر الشاحب لكفيل بأن يجعلني أصوت
هلقا .

ومضت للدقائق .

اهترشت الأرض وجلست القرفصاء والآن هوذا
عوبي الأماسي الذي لم أنخلص منه أبدا والذي لم يخطر لي
ببال . الملل . ثوبا لهذه القنذالة الكسول ! ما تلبس أنا
على أقصى لوني بالنظار اللحظية التي ترأف فيها تلك
المعلوبة بحالي وتأتي من عالمها للجحيم لتزعجني ؟ ..
إذا لم تفعل بك الآن فلاداعي لتفعله أبدا ..

★ ★ ★

مضت ساعتان .
المشكلة في هذه المسوخ العريضة انها لا تأتي أبدا حين
نريدها ..

والآن يظن (رضا) في قرائنه غير عابى بشيء . ولتنام
(نهارة) جواره تفكر في مصيرها من بعد رجعة . وكلا
القرية عائمة لا تدرى شيئا عن المسجونين الذين قررا القضاء
الكل في الحقول يوم مبرر ..
لشدت سيجارة وطفقت أذنين ..

لا أرى لماذا تذكرت هذا الزمن الحزين في هذه اللحظة
بالذات .

حين الولد بانه ؟ قالت نعي أهله ..
كان التي مناسب للموقف لكنه خرج من فمي خفيضا
أجس كانه ندير . ولقد أثار رجفة في عرولي أنا نفسي ..
ما الذي جعلني أفكره ؟

التأنيث شعور غريب بالثقل نمت وحدي . في مجال
بصري لمعت شوك ما انت ووجهي في بطن تجده هذا
الشيء . فتمتعت ما يشبه فتاة طويلة مسربة بثوب طويل
أسود تسيير في ثلثة على بعد خمسة امتار مني في خفة
كائها (تسري) ولا تمشي لا يوجد اي نوع من الابتعاد
تحت ثوبها يوحى بحركة القدمين .

صاحب البلد لما الفولقة نالت له

لما تكرر وجهها لي كأنها لا تراثي أساما ، وفي هذا
الظلام لم تكن لأراها حتى لو نظرت لي . أحسست
بصوت الغري يتجدد وقلبي يكاد يثب في حلقى . إنها
تتظر .. إلى دار (رضا) ..

حين الولد يا ولاد ؟ قالوا الولد مبعور

أما ما جعلني أدرك أن الأمر كله ليس وهما فهو حالة
الضوء الأخضر العجيبة المحيطة بها كأنها تشع هذا
الضوء من الداخل من تحت ثوبها . إن ما أراه الآن
لهو ضوء خالص بكل المقاييس شيء لا أدري كنهه لكني
لا أجري على ترك المكان قبل فهم ما يحدث

مناظر وراها بلاد وادي المنين بتور

والآن تولفت الفتاة وألمتها منتصبه وصنرها بطول
ويهبط ثم رفعت عقيرتها بالدعاء وهي تنظر لأعلى كمن
يعوي أمام قرص القمر ..

- (رضا) (أه) ١ (رضا) (أه) ١

إنه نفس الصوت الطويل - كالنحيب - المملوء كأنه قائم
من أعمال الجحيم .. نفس المقاطع الممطوطة . نفس
الحشرة التي ممصها في تلك الليلة عندما عنت من
القاهرة

- (رضا) (أه) ٢ . (رضا) (أه) ١

والآن حال وقت انتهاء هذه المهرلة ، نهضت من
مكاني وفي هدوء وهدر أتجهت إليها وكانت تنير ظهرها
لي ضوءها الأخضر الخالص بانف معانم جسدها
ويستط على ثيابي . حين صرت خلفها تماما تلحست
لأبدا الكلام فقد انحسرت الحروف في حلقى

فيس الولد بامه ٢ قلت نسى أهله

قلت وأنا أرتجف

- ماذا تفعلن هنا أينها قلت

وهما التفتت لي

صاحب البلد لما الفولقة نالت له

من ذا الذي قال إن اللذاه رانعة الجمال ١٩ أنا لم أر

ولم أتقبل قط وجهها مريفا كهذا الوجه ، وجه شاحب
كالموت ، عيونان صبيقتان حدقتاهما حمران بلون
الدم ، شفتان مشفقتان . لا أتذكر أن هناك جمالا ما من
نوع خاص كجمال العماهرات الشريرات كان موجودا لكنه
جمال فاس شنيع . خصلات شعرها سوداء فاحمة مصلفة
بصانة ، وصلها طويل شامخ و . شامة كبيرة زرقاء
على الخد الأيسر

لم يسمع الوقت لأعصابي كي تستوعب كل شيء .
لأنني صرخت وصرخت كما لم أصرخ من قبل ، نسيت كل
شيء عن المصنوع الذي في جهنم . ثم أكن أريد سوى
الخروج من هذا الموقف إلى مكان لا أدرى فيه هذا
الوجه .

فبين الولد باولاد * قاتلوا الوند مسحور
وخرعت أجري وأتضرر وأنهم ثم أجري
أعواد النرد تنظم وجهي ، وأليس يخطئ . وتفكرى كنه قد
تهدد إلا من الإغنية المشنومة وثمانين بينهم كل منهما بين
الأخر لا أدرى كيف تصرفا إلى عظمى الباطل
ومن بعيد عاد صوتها يتردد في إصرار
- (رضا الله) ! - (رضا الله) !

★ ★ ★



وخرعت أجري وأتضرر وأنهم ثم أجري أعواد النرد

تنظم وجهي

وفي الظلام اصنعت بحمد بشرى ، فأجفلت وشرعت
أوجه لكمات خرقام إلى ما ظننت أنه مقتله . فاصمعت
صوتًا مألوفًا يهمس ويهتف بي

- دكتور (رفعت) !.. هذا أنا (عاصم) !

(عاصم) من ؟! الآن تفكرت دكتور (عاصم) الذي
بدأت معه المغامرة . انار الكشاف وشرع يهدي من روعي
على حين أخفقت ارتجف وأحكى له ما حدث في كلمات
صرخة ..

- إذن هي هناك ؟

- بالطبع يا أحمل ..

- إذن هو هذا آخر فرصة لنا

وشرعنا نجري إلى المكان الذي رأيتها فيه . وهناك
- وعلى ضوء بطاريتنا - لم يكن شيء سوى المكون
المربع وصوت ضطبع بنقى مدارلا لشده
أين ذهبت تلك الفتاة ؟؟

- هل أنت والتي مما رأيت ؟؟

- بالطبع ..

- ولماذا لم تلبض عليها ؟؟

لحمز وجهي - وهو لم يره في الظلام - وفلت بحزيج
من الخجل والحقاق :

- لبيتك كنت هناك مكاني . لم تكن هناك فرصة لأي
شيء

- إلى هذا الحد كان المشهد مرعبا .

- مرعبا

- وأين نظمتها ذهبت ؟؟

- إلى المكان الذي منه جاءت بالطبع .

تفكر حينًا ثم تتأهب ، وقال :

- على كل حال فإن من ربيع المستحيلات أن تجد نحا

بني صيدان الذرة الزامية . يبدو أن حفل الليلة قد انتهى

فلمعد إلى الوحدة وللتأقلى ..

أنت في حاجة لكوب من الشاي

- نعم ولا ريب .

* * *

- والآن دعنا نسترجع ما حدث

كانت (عواطف) زوجته تعد لها الشاي على موقد

الكبروسين ، في حين جلسا ترتجف - أنا ود (عاصم) -

على الفراش . ، لم اصدق لحقة النقي منذ عشر دقائق

وأجهت النداهة . النداهة بصيها

شرعت أعيد حكاية القصة ، في حين شرعت
(عواطف) لتتصعب وتمتصص شفتيها حتى إذا وصلت
لجزء المواجهة صرخت بصوتها المبحوح
- يا لهوى ! كفاك هذا فقد الجشع جدى
صعك د (عاصم) في طرب ، إن الرجال يحبون أن
تفرح النساء والنساء التكتات فقط بهن في كيف يستغلن
هذا ، كاتى بغوف السماء العنيد من القلران مجرد تعلق
لغروب الرجل .

قلت في تواضع وأنا أرشف كوب الشاي
- أنت المتهررت من مجرد كلمات ، أما أنا فقد عشت
الموقف وجها لوجه وسبقك يخرلنى حتى أموت
قال د. (عاصم) في اهتمام :
- صطفا لي ..

هرشت ذقنى في تردد ، إننى أعرف شكلها تماما لكنى
لا أستطيع وصفه ، ثم خطرت لى فكرة التناولت ورقة
والقلم وشرعت أخط شكلها ما
- آه .. مشرسمها ؟

- بالطبع قلنا رمام لا بأس به
وعلى الورق بدأ الوجه يولد العينان للشاخصتان
الشفتان المتمزقتان خصلات الشعر الباعم الاسود منفصلة

على الجبين ، ثم العلق الطويل الأبيض .. صورة لا بأس
بها ، لكنها لا تشبهها كثيرا . فقط مفيدة لمن لم ير لداة
من قبل ..

علمت بدى بالورقة إلى (عاصم) ، فتناولها بتأملها
ومضت (عواطف) علقها الطويل فى لفوف لتتري
ما هناك ، اطل (عاصم) للنظر إلى الصورة ثم أعادها لى
واجها . اعبت تأمل الصورة هناك خطأ ما ارتكبته .
لقد نسيت أن أظلل العينين للكويا حمراوين كعينى
للداة ، ثم إننى لم رسم للشامة الزرقاء على الخد
الامير لهذا بدت الصورة أكثر بشرية مما كانت عليه
تلك الشيطانية حين رأيتهما ، مجرد فتاة جميلة اخرى

ثبتت الورقة ووضعتهما فى حافظتى ، ونهضت
للاتصراف فلم يحاول أحدهما استيقاننى .. قال (عاصم)
فى شرود

- وبعد هل متواصل ما بدأتها باكرا ؟
- عليها إنما لم نصل لشيء ، والساعة الآن الحادية
عشرة مساء

- لو كنت مكانك لأخذت التحير
- ولم ؟

نظر لي نظرة حنونة غريبة من خلف نظارته المميكة ..

وهمس :

.. لقد حصلت مشروعها لهذه الليلة ، والنداهة لا تتردد
أهذا من يمتدح سبيلها ؟ والآن فلنترقب كوني آخر من
الشاي قبل أن نتصرف .. ١٠

★ ★ ★

٨ - السيد ..

في الواحدة صباحاً عدت لداري فخلعت ثيابي وارتديت
عني فراشي منتهكاً ، ما أطوله من يوم ١١ . كان الصداغ
يقتلني والدوار يعصف بي . وثمة اتصال كامل عن
الوجود في كل كياني . ولكن الواحدة صباحاً ١٢ لقد
ودعت د (عاصم) منذ ساعتين فهل استغرقت ساعتين
في الوصول لداري ١٢ لا أذكر شيئاً ولا يهمني أن أذكر
كل ما أريده الآن هو أن أأام ١٠

ولم أدر متى ظفني للنعمس ..

وفي ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي استيقظت
ولمسي جاني كالقش وفي ذهني صورة واحدة ملحة ..
ثعبانان يلتهم كل منهما ذيل الآخر .. أين لمستها ؟

ومتى ؟ .. وما معناها ١٢ ..

ولم يستمر تساؤلي لأشئ غلوت ثانية

.....

★ ★ ★

على الطويلة جلست ألتهم اليبس والفطير الذي أعته
 إلى الخبي (رقيقة) . وكنت شارو الدهن إلى درجة أنارت
 لقلها . خرجت تخطي في مواضع عديدة بنت لي بعدة
 جدًا ومبتلة فأغلقت أدلي وشرعت أحسهم بنكبات مختلفة
 توحى بالمناجاة . كاني أوالقها في الرأي

... ..

هم م ا

.. ..

هم م ؟

.. ..

هم م ..

وهذا لمحتها تظهر لي في ضيق ودعشة وتقول
 - إني أسألك ا

لقد اجبتها على سؤالها بههمة توحى بأنني أتابعها .
 وهكذا المتضح شرودي بشكل مخجل لآبه أنه أنار
 حليفتها ، قلت في أربابه

- لا مؤلدة .. ماذا كنت تقولين ؟

- أنت لا تسمعي ألبته أقول لك ماذا ستفعل مع
 (رضا) ؟

- وهل هناك جديد ؟

- نعم . أرسلت لنا امرأته صباح اليوم تقول إنه .

- هرب ؟

- لا ليس بعد . نائنه اللذاهة لمس فموق فيوده
 وكاد يهرب . حتى أنها اضطرت للاستعانة بالجيران كي
 يمدوه . لم تكن تريد أن يهرلوا .

ثم تكن تريد أن يهرلوا ؟ هذا غريب .

- وهل هي لم تخبر احدا بالموضوع حتى الآن ؟

- بالطبع . أنت تعرف امرأة أخيك . إنها لا تحب
 للشماتة . إنها تخفي السر وتزعم للجيران وأصدقائه أنه
 مريض ..

- إن أنا أول من لمصه ؟

- طبعاً . وكانت أقول إن

إن شيئاً في هذا الكلام لشديد الأهمية . إنه يخطئ .
 ولكن بالشوش ذهني ا

لا أستطيع أن استخلص شيئاً من هذا الكلام لكنه يوحى
 لي بفكرة ما هامة جدًا . وقد نسبت ما هي .

شغلنا أغني لم تزل لا تتحركان بكلمات كثيرة . أنن تكفي
 من الكلام أبداً ؟ أنا لا أفهم حرفاً مما تقولين فضلاً عن
 سماعه أصلاً .. والأل من المحتمل أن أزرر (رضا)
 لأطمئن عليه وتلك المرأة الكنوم قوية الشخصية زوجته ..

أنهت المطاري وشربت الشاي ، ثم أتت غافرت الدار متجها إلى بيت (رضا) فسمعت من أصغر حلق الثرة الذي حدثت فيه أحداث الأعراس .. وفي المكان الذي وقعت فيه النداهة توقفت وشرعت أفحص القراب .. كانت هناك آثار الأقدام لحذائي الكاوتشوك الذي ارتكبته ليلاً . وعلى بعد أمتار كانت هناك آثار أخرى غريبة .. حفر دقيقة عميقة في القراب لا يمكن أن يرسمها هذا . بل هي - إذا أردنا الدقة - أقرب للآثار التي ترسمها أقدام الفة حين يزحف في حذر نحو حصار ..

اتجهت نحو دار (رضا) وقرعت الباب ففتحت لي (نجاحة) :

- أنت لم تدر ما حدث أمس وقت نائم في الحبل .. هكذا صرخت بصورة أن رأيت فأوقظتها بحزم رافعا

يدي

- أصرقه . ولم تكن نائما في الحبل ... صامحك الله

- بلن أين كنت ؟

- كنت واقفا في التهرود والعراص أنتظر ندامتك .. ورأيتها .. وسمعتها تناديه .

- ومذا فطت ؟

- لا شيء . ذهبت ليلتجئ نجدة وحين عنت لم أجدما ..

- يا خبيثه !!

إن هذه المرأة منبسط أعصابي لماذا أتجمل وفاحتها وسفها دون أن أحطم رأسها ؟
للأسف أنني مصطر لهذا لأنها هي الضريبة التي أدفعها وسأظل أدفعها كلما أردت التجويز إلى عالم أمني .. إنها سيدة الدار . ولا مفر من ذلك !

تأملت وجهها . خصللات شعرها الأسود اللامع صهتها المحمقة . إن هذه الملامح تذكرني بشيء ما ... ثم إن شفتوها مشفلتان بصورة غير عادية . وكانت تكشف عن علق طويل ابيض . لا أريد أن تكون متعاملا لكن هذه المرأة تشبه للنداهة إلى حد لا يأس به .. ثم لا تنس - وهذا هو الأهم - تلك الشامة الزرقاء الغريبة على خدها الأيمن . إنها تشبه النداهة لكنها ليست هي .. لا يمكن أن تكون هي .. !

- فهم أنت شاردة هكذا ؟

ابتسمت ربي . قد تكون مصادفة وقد يكون إيهام تركته في نفسي أحداث البهرجة . وقد يكون انعكاسا لتكراهيتي لها لكني لا أتجمل اللحظة المبرر ولا الحافز الذي يجعلها تترك زوجها وتخرج ليلا لتلبدني عليه من خارج البيت . سيكون تكرارا مسبقا إن تكون كل فتاة أقابلها ذات شخصية شريرة أخرى (إيكاترينا) تتكرر في صورة مذعوب في روملتها و (نجاحة) تتكرر في صورة نداهة في مصر ..

فلا .. إن تكرر هذه الملاحظة المألوفة على تكثيري ،
 فقد لاحظت في ذاكرتي بهذه النقطة ولا أتساءل أبداً :
 (نهاية) تشبه اللداهة إلى حد ما ..، لربما ألفتني هذه
 المظومة يوماً ما ... وبعتها وانصرفت متجهاً لداري ..
 على أنني توجهت إلى الوحدة الصحية لأرى شيئاً ما في
 مكتب المواليد ثم عدت لداري بعدما دون أن السائل
 (عاصم) ..

★ ★ ★

بدأ المرضي يتوالفون إلى دارنا .. فحدث ثمارس عثى
 في الغرفة الجانبية إيها ، وكنت شارد الذهن مما أثر على
 سلامة تشخيصي ، ولاكثر من مرة تردد القلم في يدي
 محاولاً تذكر اسم نواء ما . وتمسحت كثيراً من الوجوه التي
 رأيتها أمس .. الفلانة أن لم أكني كان مثيراً للنشظة في
 حد لا يوصف ..

وحين جاء العصر صعدت لغرفتي وتناولت لقمة أهدتها
 لي أمي للعداء . ثم نعدت في فراشي لأستريح استعداداً
 للمسيرة القاسية التي تنتظرني هذه الليلة . ومرحان
 ما غلبني القلمس . فعدت نوماً هائلاً لأحلام فيه

★ ★ ★

صحوث في القلام الدامس ما الوقت الآن ؟؟
 نظرت لساعتي الفوسفورية فوجدت عقاربها تظهر
 للماشرة مماساً . لقد خلتني القمم وأخبرت ساعتين عن
 موعد في الوحدة مع د (عاصم) .. يجب أن أركض
 ثيابي وأخرج إليه قبل أن يهجن ..

ارتديت (عذة اللداهة) التي وصلتها لك . المسنن
 والمصطف والسجائر والعداء الخفيف . ثم توجهت للباب
 كي أخرج . وهنا سمعت صوتاً غريباً . صوتاً قائماً من
 ناحية السافرة المجاورة لبيتنا . صوتاً طويلاً مطوطاً
 كالنصيب . صوتاً أعرفه جيداً بقول :

- (رفعاااااات) ! (رفعاااااات) !

إنها تناديني أنا أنا بالذات ! لقد جاءت لعلتي ،
 والآن لن أبحث عنها ولن يكون هناك المزيد من الانتظار
 الليلي العمل . كل ما على هو أن أخرج من البيت ونسوف
 تكون هناك بانتظاري .

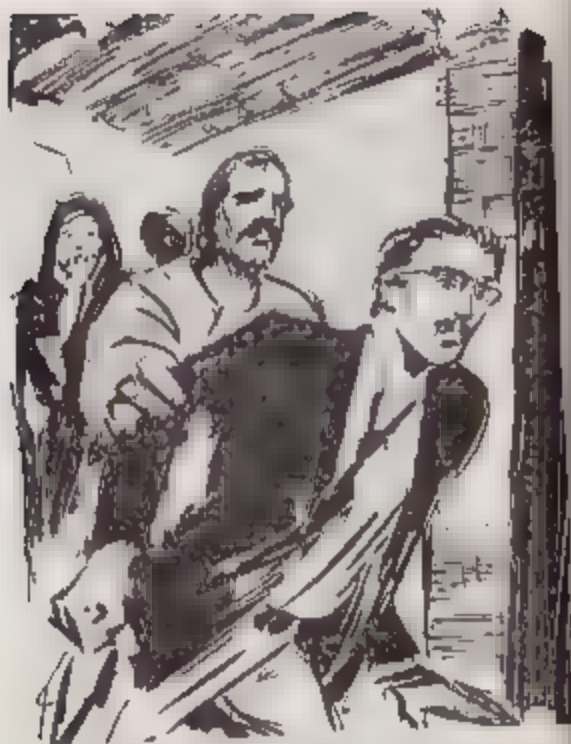
- (رفعاااااات) !

وهنا انفتح الباب ونمتت أمي وأختي و(طلعت) زوج
 (رقيقة) يدخلون الحجرة وثمة شمعة مضاءة في يد أمي ..
 ونظرة ذمغ في عينيها الذابتين :

- بسم الله الرحمن الرحيم ! إنها تناديك يا بني !!

ثم لمعت استعدادي للخروج . فصاحت .

- لا لن تذهب !



قلت في لحظة على الرغم مني .
- اسمعي يا أمي .. لا تدخل لاحد بهذا . إنه مشكلتي
وسأحلها بنفسي ..

صربت على صفرها في نوعية
- الحطولي أيها الناس ! هل افقد الولد ولقاءه ؟
بولما الصوت يتريد في إصرار وبرود .
- (رفعنا الأصوات) !

التجهت للباب إن شيئا ما في هذا النداء لا يقاوم أبدا .
لم مشهد وجهها . لا بد لي أن أرى هذا الوجه مرة
أخرى . كم هو غائب ! كم هو شبيب ! كم هو شبيب !
لن يستطيع هؤلاء علمي بدعوى الحزن الأمري ..
اصبك (طلعت) ذراعي بيده القوية - كاتمجة - وغال
بغشوة

- (رفعت) لا أريد أن تؤذيك !
قلت في حلق محاولا النزاع لراعي وقد سقطت نظارتي
على الأرض
- لا شأن لك يا (طلعت) بهذا دعني .
فلذات قبضته ثباتا ، وهنا نوى الصوت مرة
لآخر

- (رفعنا الأصوات) !

اصبك (طلعت) ذراعي بيده القوية - كاتمجة - وقال بحسرة
- (رفعت) لا أريد أن تؤذيك !

كلا .. ؟ لن أضيع هذه الفرصة ! حاولت التملص في هياج فكانت فرصة رائعة ! (طلعت) كي يستعرض قواه .. لأنكر سوى معركة عبيدة كنت فيها الطرف الواسي جدًا

وكانت أمي تولول ، وأختي تنظم خديها بينما طفليها يمسك نيل ثوبها ويلتصق ، (طلعت) بوجه لي اللكمات ثم يلقى بي على الفراش الخشبي النعيق . أغشى تناوله حبلا من التليف يحده حول كاهلي وهو يلهث . ثم يلفه حول معصمي ، تقارعت صرخات .. تسلخ لحمي لكن القيد كان محكمًا .. ثم استسلمت منهكًا . ، الصوت لم يملك بدائي .

- (رفعت ألت) !

أطلقت أختي منية وهنكت .

- ألي تخرسي يا بنت الـ ١٢

ثم شرعت تقول وهي تبكي وقد اكتسب كلامها لحنًا محبة للنفوس .

- أولًا (رضا) ثم هوذا أختي (رفعت) زينة الرجال

ليتك لم تأت من مصر ..

ليتك لم تأت ، ليتك تركتنا في بلينا .

ثمًاذا تبكي هذه المرة ؟! أنا لأرى مصيبة ما في هذا الذي يحدث . كل ما هناك أن هذا القيد يثير حفيظتي وأني

يجب أن أتخلص منه بأسرع ما يمكن .. هناك تلف حبيبتني الرقيقة في ثوبها الأسود تنتظرنني وتناديني .. فسلام لآلهي لقاءها ؟!

لم أدر بشيء مما حدث في الأيام التالية .

هلوسة متواصلة مضطربة تداخل فيها د (ريتشارد) مع (إستيلا) والمدهوب مع مومياء (ذراكويلا) ومشهد وفاة (إيكاترينا) و د . (عاصم) ووجه اللذاهة ووجه يهوذا والنصاليين اللذين ينتهم كل منهما نيل الآخر فيما بعد حكى لي (رولفة) كل شيء ..

كنت ذاهلاً عن العالم أرمقه بعينين مفتوحتين لا تريان ، ولم أكن أكل لهذا كانوا يطعمونني قسراً كالقط . ، وقد أحرفت أمي أبلغنا من البخور جوار فراشي وقرأت سورة (يس) مئات المرات ..

أما (رولفة) فقد احصرت مشعوذاً - تصانها كالعادة - كي يحاول فك اللعنة التي تكبلني وبالطبع أحرق مزيداً من البخور وردد عشرات الرقي وطبقت مئات الطلبات ثم تنصرف (أيعا) أن هناك جنباً حقيقاً على لأنني لم اجلب له ما أريد من هديا ..

وكان (طلعت) أكثر مانيه في تكبيره . إذ ذهب للقرب
وأحضر د (عاصم) طبيب الوحدة كي يرانى . وقد أبدى
هذا الأخير أسفه ولوعته . وقال إنه خمن أن هذا حدث
حين تخرجت عن موعدي معه . وحكى لهم قصة لقاتي مع
الذاهة . ثم إنه أعطاهم حفلة مهديه وعرض خدماته في
أي وقت ونصحهم بذلك انذروا من حين لأخر والسماح لى
بالتقلب في الفراش . حتى لا تصاب بفرحة فراش . وأخذ
جلبها لمن الكشاف برغم أن هذا ممنوع حسب قوانين
النقابة ..

بأله من لصاب ا.

وفي كل ليلة - حكى أختي - كانت الذاهة تتألم من
جوار الساقية . فكدت أتدخل وأقلب وحاول النهوض
لكن القيود كانت أقوى منى
وفي ذات مرة أسر (طلعت) على الخروج ليرى هذه
الشيطنانة لكن لمى وأختي توسلتا إليه أن يبقى . فهما
نمستا على استعداد لذلك لآخر رجل في الأسرة . وقد
اضطرت أختي لأن تثم يده كي يتجنب ضوضاء القتال .
فرضع برهنها ..

كم من الوقت استمر في هذا الحال ؟
أسبوعين ..

وكيف انتهى ؟ إن ذلك قصة صغيرة سأحكيها لكم .
ولكن لاتعجلوني ..

وصل خطاب باسمي . تسلمه (طلعت) زوج أختي ،
ولم ير الخالدة ب من إطلاعى عليه لأننى قد انفصلت عن
العالم تماما . لهذا سببه تماما في جيب جلبابه . ثم إنه في
إحدى اللآلئ فكر في أن يثلوه بجانب فراش لعل شول فيه
يشير لنتهاى أو يكون أمرا دال يمكنه هو التصرف فيه
وعلى صوة مصباح الجاز شرع يقرأ . كان الخطاب
من تلميذ د (علاء عبد الصمد) يتحدث فيه عن حيرة
الدم التي أخذها ليعملها في معمله بالقاهرة
- حريري د (رفعت) :

لم أستطيع الحضور بنفسى كما أننى لم أستطيع الاتصال
تليفونيا لأن القرية لا يوجد بها تليفون . لهذا أرسل هذا
الخطاب وفي تقديري أنه لا يستغرق سوى ثلاثة أيام
وبالتالى لن يسبب التأخير مشكلة .

لقد قمت بإجراء التحاليل التي طلبتها وكما توقعت
أنت لم أجد أى دليل على مرض السكر أو الكلى أو القلب
الكبدى أو تغير حموضة الدم .. كما أن نسب
التكهارل*^١ الألبان بها .. ومزارع البكتريا منبئة كلها ..

(*) التكهارل أو الألكتروليتات هي أيونات الدم الموجبة
وسالبة

باختصار . لاشيء على الإطلاق

ثم قامت بإجراء تحليل كروماتوجرافى فى كلية الصيدلة
بعثاً عن مسموم معينة وبعد بحث مدقق مرهق وجدت فى
العبوة نسبة معينة جداً ولكنها محسوسة من مادة
الباربيتورات ..

كان (طلعت) يقرأ بنقشه المضغصة التواهيبة . وقد
هائى الأمرين فى لطق كلمات مثل (كهارل)
(كروماتوجرافى) (باربيتورات) لكن الكلمة الأخيرة
وصلتى كاملة سائمة . واستقرت فى وعيى لتحدث هزة
كاسحة . ومن ثم رنقتها خلفه . هكذا قال . وكانت أول
لفظة أولها منذ أسبوعين مما أحدث له هزة فرح
هائلة . وخرج بكبر والدموع تغطي عينيه
- ود (رفعت) ا لقد نظمت ليها لرجل الطبيب ا

نظمت ا

هالدا . حى أرزى . لا ادرى ما حدث لى ولا يهينى أن
أعرف . فقط أريد هذا الخطاب حالا . يجب أن أعرف
ما به ... ولكن .. إننى مفيد للفراش كالتبيحة . من فعل
هذا .. (طلعت) ١٢ ولما ١٢ انكر شيئا عن النداهة
وعن تلك القليلة لكنه مشوش تصاب . لابد انهم فحسونى
- هؤلاء الحمقى - لكيلا أضحى بالآخرين . قلت فى صوت
متعثر ج :

- (طلعت) ١٠.. أنا بخير .. أرجوك أن تفك القيودى .

نظر لى فى حيرة ولم يرد ..

- (طلعت) ا دعنى أنهض وسأخبرك بكل شيء .. لقد
رأيت القبيحة ..

وجهه مغطى بالظلال ولا يريد أن يرد . من حقه ألا
يصلى لكن كيف ألقاه ؟

- (طلعت) ا . صدقلى . أنا لا أكذب ..

نهض فى حزم ووضع الخطاب فى جيبه .. وقال لى
بجلاء واضح :

- نستعد بالله ياكتور ولا تلب نداء الشيطان .

- ولكن .

- إنها تلك الملعونة تحاول أن تدعوك إليها . لكنك
لن تدعنى . !

وحمل مصباح الكيروسين فى يده متجهاً للباب .
وقتمه .. وقبل أن يخرج قال مكرراً فى الملأ أذنه
بصوت ..

- لن تدعنى ؟

★ ★ ★

في ظلال الليل ومع قهقهة الإيجري بدأ تفكيري يتشعب ويصفر حتى وصل ذروته .. وبدأت أحل الحقائق وأفكها . كل كلمة وكل صورة وكل موقف كان له دورها في هذه القصة ..

بدأت الصورة الذهنية تتشكل لكن ثغرات عدة كانت تملؤها .. المهم الآن أن يطلقوا سرهم ولو قليلاً لأنني بحاجة إلى الحركة ..

في الصباح جاءت (رابعة) بالأفطار : وجنت جوارى على السرير وشرحت نصف لقيمت مغموسة بالصنل في فسي .. القعدة ! لها لأحب الصنل إن كل ما مررت به من تجارب مروعة لا يساوي عندي أن أكل الصنل وأنا مقيد بالحيال ! لهذا بصقت ما في فسي جملتها تجفل .. وصحت :

.. (رابعة) .. أنا بغير .. لقد شغيت ..

.. يارب !
.. لقد استجاب الله بالفعل لدعائي .. لم تلاحظني أنني أنكم ؟

.. لقد أخبرني (طعت) .. وأخبرني أيضاً أن هذه خدعة من اللداهة .. !

والله ! من حسن حظها بالفعل أنني مقيد .. كنت في غيبه !

.. ومضى ستولون إنني شغيت إذن ؟

.. حين .. حين تشفى ؟

ماذا أفعل مع هذه الحماة العزيرة ! .. إن ذهولي هو دليل مرضي .. كما تعتقد - إلا أن هودتي للواقع هي دليل أكثر خطورة على نفس المرضى ! .. أغتت نفسها صديقاً وفرت أن أسلمها برفق :

.. (رابعة) ..

.. نعم .

.. إن اللداهة تنادي ليلاً .. أليس كذلك ؟ ..

.. بلى ..

.. ولحن الآن في الصباح .. أي أن رغبتي في التحرر لا تغير عليها .

.. طبعاً ..

.. إن لم أذا لا تحضرين مكنون المطبخ وتطبخين قهوي ؟

قلت وهي تعلم فذات القطير المتساقط على صدري ولظني ..

.. إن (طعت) قد حلف على الإطلاق لو أنني لم أكن قهويك . هو لا يريد سوى مصلحتك ..

اللغة ١. ما هي دى الأمور تأخذاً طلباً متأزماً لا مفر منه لو حررتنى لقد فكت زوجها وأسرتها فكت فى خلق :
- إذن سأفنى حياتى هكذا ٢ . حتى إذا شئت من نداء النداهة ٢

نظرت لى فى حسرة وغممت :
- إن أحداً لم يشف من نداء النداهة أبداً . ولهذا نحن والفقير أنك لم تشف . هذا هو كل شيء ١
١٥ بالمطلق المحكم الحرب .. نأمنى الآن حالن إما أن أفضى نهاري فى محاولات فرقاء لك القود أملاً على أنسى لم أكن هوينى (*) وإما أن أغيرها بكل استلجائى أملاً أن تتولى هى مهمة كشف السر .. لكنها لن تظهم حرفاً مما سأقوله لها وإن تصفقه ..
فى هذه اللحظة بخلت أسى الحجرة هائلة فى مرج .
- صباح الخير يا بنى ... لقد جاء حبيبك ..
- هيبى ١٧

- نعم .. د. (عاصم) وزوجته للاطمئنان عنك . قل له كل ما تريد ..

(*) (هوينى) ساعر عالمى شهير اشتهر بقدرته على فك القود والهرب من تلقاخ مهمات كانت محسنة

- أقول له ما تريد ١٢ . إن الإغراء شديد بالفعل ..

مفل د. (عاصم) بصليته المميزة الفرفة حاملاً حليمة الفحص ووراءه زوجته (عواطف) وقد بدت فى أجمل حالاتها فى ضوء النهار . وما إن رأى حتى اتسع ثغره بابتسامة بنهاء وصاح .

- الحمد لله على سلامتك أيها الزميل! . أظهرتسى (الحاجة) أنك قد تكلمت بالأمس .
كانت نظراتى مثبته على (عواطف) . على فلاتتها بالذات . وقد لاحظت نظرتى فأغلقت زر القيصها الطوى فى شيء من الحرج . وغممت
- حمداً لله على الصلابة ١

اللفت د. (عاصم) إلى أمى وقال فى مرج .
- لويد التماي يا ست للكل ..

ثم التفت إلى . وجلس على حافة الفراش قائلاً .
- لقد تركت الوحدة فى ساحة اللزوة من أجلك .
- بارك الله فبك . اجلس يا عدام (عواطف) ..

جرت (عواطف) كرسماً من الجريد وجلست عليه جوار الفراش وهى تتحاشى النظر لوجهى فى إصرار ... قريب هذا الاجتماع العائلى بين طهوب سعيد مثله وزوجته مع

رجل مفيد في الفراش وقد نمت ذقنه المشبعة بهذا
كالمجانين ، دحك من أنفي لم أكن قد استعصمت منذ
أسبوعين مع جعل راحتي ككهوف الذهبية .

احصرت أسي الشاي فنهضت (عواطف) لتأخذ منها
الصبوبة ، ووضعتها على الأرض القرابية جوار الفراش ،
في حين قال د. (عاصم) :

- والآن ملا تركت بعض الوقت بأحاجة ؟ - أغلقت
الباب خلفك لأننا سنناقش مستقبل ابنك ولماذا لم يتزوج ؟
ضحكت أسي في مزح ودعت له ولزوجته ثم فعلت كما
قال ..

- والآن مات ما عندك ..

- ومن قال لك إن هناك ما عندي ؟

- عنك ..

- ليس قبل أن تلك ليدى ..

- أما هذا فلا لقد وجدت هاتين البانستين ولحسن
الحظ انهم لم يربطوا لسالك بحبل من اللب هو الآخر .

اخذت نفسها صميقاً ونظرت لسفك الحجرة ثم قالت

- حسن سأحدث ولكن لا تقاطعني .. صبح

نظارتي على أنفي على الأقل

بك هذا



وقد لاحظت نظري فأغلق ور لميصها نظري له شيء من المزج

وعصمت . - حلا في عن الملاحة

- في البدء كان للفكر شامسا كالشمس لشمس . . ولم يكن هناك يسيوس من هدى . لهذا أرسلت عينة من دم مريض لتحليلها في القاهرة بحث عن شيء ما . وأمس وصلى التقارير . يقول إن هناك نسبة ما لا تذكر من مادة الباربيتورات .

- وماذا في ذلك ؟ ألم تعطيه أنت حقنة فيلوياريبتون ؟

- كلا .. لقد أعطيت هذا المريض حقنة فيلوياريبتون بعد وفاته قبل التحليل .

أي أنه كان يتعطى - لو يغشى - هذا العقار في أثناء مرضه ..

والآن هل تعلم من هو هذا المريض ؟ إنه (رضا إسماعيل) أليس ..

- وهل .. هل أعطيت على ذلك كل هذه الفترة ؟

- أنا نفسي لم أر عبيرا لذلك . لكني - حين أعيد التفكير - أرى أنه أحكم تصرف فعلته في حياتي . والآن دعنا نسترجع الأحداث في كراستك الصغيرة التي أوتيت إياها في الوحدة حين رددت أول مرة بكرت اسم (رضا إسماعيل) وأنه لموس دابهم للتداهة . كيف يمكنك معرفة ذلك في حين أن روجة ألي تم تخبر احدا في القرية بهذا الموضوع ولم تجلب له طبيبها خوري ؟

إنك قهنت اسمه في الكراسية دون أن يدرك به أحد فما السبب ؟

قال في ارتباك :

- ربما هي كلمة سمعتها هنا أو هناك لا بد أن الخبر ضرب ..

قالت في حزم :

- ألم أقال لك ألا تلاحظني ؟ ثم اتلى قاهلت للتداهة المزعومة . . وكان الموقف مريحا لكني احتفظت في ذهني بعلامتها . واستطعت أن أرسنها لكني نسيت بعض التفاصيل التي كانت تجعلها متوحشة ، مما جعلها أقرب لصورة نثي عانية . حين رأيت أنت و (عواطف) هذه للصورة أصابكما الوجوم لماذا ؟ لأن الصورة بدت أقرب إلى (عواطف) منها للتداهة . لكني لم افطن لهذا الشبه وقتها وخيل لي أن هناك تشابها فسيذا مع (نجاهة) روجة ألي . إن التداهة التي رأتها تملك شامة زرقاء على خدها وهذه يسهل رسمها .. أما الصبيان الصراويل فممكن لعممتين ملتصقتين ملونتين إعطاء الإيهام بهما . أما النون الفسفوري المشع لولا فهو شديد السهولة . إن المكياج الذي كان على وجه التداهة كان متقلبا وكان بارعا لكن صبيان الشامة وضد كل شيء ..

أضرب إلى هذا أن الإنسان هي الأنثى لم تكن
(عواطف) أن تصنع قلائتها الذهبية الجميلة - التي ترتديها
الآن - على عنقها وهي تمثل نور التداخلة ، ثم يسمع على
لاستيعاب شكل القلادة لهذا فطنت مجرد صورة في ذاكرتي
لشبابين يلتهم كل منهما دبل الآخر لا أنكر متى وأين
رايتها ... ومن عادت (عواطف) أن تصنع يدها على
جدها في أثناء الكلام لهذا لم ألحظ أنها ترتدي هذه القلادة
إلا الآن ..

والملطة الأخيرة هي صوت (عواطف) المبحوح . إن
مر هذه البهة هو كل هذا المجهود الذي تبذره حين ترتدي في
اللقاء على الفلاحين بيلا ، هذا الصوت الرهيب غير
البشري لابد وأنه أنفج احبالها الصوتية

وهوم يرتك في الوحدة أول مرة لم ألق زوجتك . قلت
إنني كنت في ولادة بالقرية لكن هذا غير صحيح لقد
تلفتت سهل مواليد القرية يومها فلم يكن هناك أي مولود ،
كانت - ببساطة - ننادي (رصا) ألقى وقتها

قال د . (عاصم) وقد ارتسم شبح ابتسمته على
ثغره :

- وماذا عن الفلاحين الذين رأوها تمشي فوق الماء ، أو
لا تتركه ظلاً ؟

- لقد كاد قلبى يتوقف رعباً وأنا لأؤمن بها . فهل
تتوقع من فلاح أو طفل يراها بهذا التعاكب المريع ألا يفقد
صوابه ؟ لا يمكن أن يكون كلامه متعمداً . إنه سيرها
عندك كما يظن أنها ستكون وليس كما هي في الواقع ...
وعلى كل حال لا ألتصمعا عاجزين عن تلقيب خدعة بصرية
بكذا

قال د . (عاصم) وهو يتبادل النظرات مع (عواطف)
ولكن العالة أصابك أنت نفسك بكل تفاصيلها
المرعبة هل كنت أنت أيضاً تمثل عفا ١٢

تلهفت في رأسى وقلت :

- إن هذه هي الثغرة في قصتي . لكن تذكر أن
المرض هاجمنى بعدما كنت عندكم وبهنا شربت الشاي
الذي قمتم لي روجتكم . ماذا كان في الكوب ؟

والأهم هو أنني ودعتك في الحادية عشر مساءً
ووصلت ناري في الواحدة صباحاً .

وليس لدى ألقى تفسير لما فعلته أو حدث لي في هاتين
الماضيتين .

إنني كنت ضحية معالجة مالا أفهمها لكلاهما تؤدي
لجولن ذهولي دائم وأنت وزوجتك هما من يملكان
التفسير ..

نظر لي د. (عاصم) في ثبات وقال :

- والان - بطرس صحة كلامك - ماذا تريد ؟

- النصف الآخر من الحلقة وهو لماذا فعلتما ذلك ؟

أشعل د. (عاصم) سيجارة . ونظر نظرة ذات معنى إلى (عواطف) شبهت لمحبوبة وناوخته شيئا ما منها .

محفنا زجاجيا مليئا بمائل أبيض ... وقال لي :

- هناك حقيقة واحدة يازميل ! . لقد كنت أقوى

الملاحظة لكلك ساذج . ساذج بشكل مرعب . وأحمق

أيضا ..

أهيزا .. لقد اعترف - لأول مرة - بأن كلامي

صحيح .. (لا أله أرتب :

- عندما يواجه المرم أعضاء بهاتفك كهذه يجب عليه

أن يكون في موقف قوة لا أن يكون كلامه وهو منزول

ومقلد في الغرائز . والآن أنت تحت رحمتنا تماما .. اكن

يجب أن تنتظر حتى تتحضر .. والان

- حانة هواء في عروقي ؟

- لا .. إنها طريقة لطفلة ، أولا ماصطبك جرعة من

الباربيتيورات لتنام ثم تلك قبورك جزئيا بشكل أن يلاحظه

أحد . وفي المساء سيغام للجميع عندك ستبقى نداء

النداهة .. ومتحضر لنا إلى حيث تمراف مصير من

سبورك ..!

فتحت قسي لأصرخ إلا أن (عواطف) كزمت الملاءة

وحشرتها في قسي حشرا حتى نكتم صوتي . في حين شرع

(عاصم) يعزى نواحي .. وفي نودة أفرغ الحلقة في

وردي .. ثم إنه تهص لأمنا :

- عندما تعود أمك وأختك للغرفة متعرفان أن مناقشتنا

قد أنهكتك .. ولقد ستنام ليلة اليوم .

ثم أهدا محطته للمحبة . وضحك :

- أراك هذا المساء أيها الزميل !

★ ★ ★

استغرقت بعض الوقت كي أدرك أين أنا ومن أنا ،
وحين فتحت عيني لم يكن ما رأيته هو حجرني الصغيرة
الاليفة بل كانت غرفة واسعة تزحف انزطوبة والطحالب
والعفن على جدرانها ..

كنت ملهبا إلى الحائط بجذيرين صديين في وضع
للمصلوب .. وجواري كان جودل فارغ وغلاية حطب
معدنية موصوعة فوق موقد جاز عتيق ، وكانت رائحة
العطافير تملا الجو . والاعراب هو أنني كنت ارتدى
التيهجة وحالها

ثم عرفت ذلك الشيء الذي بمنعني من الكلام . شريط
عريض من البلاستر ملصق فوق قسي ، وكانت قدامي
حرفين لكن لم يكن شيء في مجال حركتهم

رفعت وجهي في هدوء لأرى ما هناك . كنت قد فقدت
مطارتي لكنني لم أكن قصير النظر إلى هذا الحد الذي يمسطني
من تيهن تلك الاجساد الائمة نصف التعرية المعقدة إلى
الجدران من حولي ..

كانت هناك أربعة أجساد لرجال في العقد الثاني أو
الثالث من العمر واحد منهم اقرب لمس المراهقة ، كلهم

مقيدون .. بنفس الكيفية التي أنا مقيد بها .. الحائط وعلى
ثم اثنين منهما قطع بلاستر لاصقه ، على أنه ثم يكن هناك
كثير حاجة لتلك لانهم كانوا جميعا في حالة ذهول تام
ولكن من هو هذا الرجل صخم للجهة الذي اغضى
عينيه وتدلّى رأسه على صدره ١٢ إنه هو ١ (رضا)
أخري ١٠ هو بعينه ..

الآن تنكسرت قصة د (عاصم) ، والحفلة التي
أفنتها ، والمواجهة ، و (عواطف) و ... يبدو أنه
نظرة تهديده حرقاً وهو يعرف ذلك الذي يفعلته جيدا . والآن
أنا أسيرة . يبدو أنه لا مفر لي من قبضته كل ما على
هو أن أنتظر لأرى ..

أما باقي الغرفة فكان يحوي ملصقة عليها ألبسب
لخيار عدة وموقد (بزن) وميكرومكوب ضوئي
متهاك .. وآلة طرد مركزين .

صوت باب يفتح ببطة ..

وعلى بصيص الضوء تكلمت الطام من النافذة
رأيتها د (عاصم) وقد ارتدى معطفا ملوذا بالدماء ومن
خلفه (عواطف) زوجته ، وكان يمسك صينية عليها
قوابير عطايفر مختلفة الأنواع ... وفي ثلة انتزع قطعة
للبلاستر من على قسي ..

- صباح الخير أيها الاعمى !
 هفتابى وهو يصحك متشكراً . ووضع ما فى يده على
 المصعدة
 - كيف حالك ؟
 - الحصل مما تتوقع أيها الجزار ؟
 - يبدو أن نوم الليلة لم ينجح فى تهذيب أخلاقك .. لقد
 فتكتنا قيوورك بشكل لم يلاحظه احد ، ونحن جاء الليل
 نابتك اللداعة فلهضت من فراتك ووثبت من النافذة
 وجئت إلى متحصنا . أليس هذا رائعاً ؟
 ثم إنه أمسك بمصمم روجته وأشار لى :
 - تخيلنى هذا يا (عواطف) .. أستاذ لمراسل الدم للعظيم
 هو حيوان تجارب فى معنى . دهينا نعرفه على زملائه
 فى الأسر ..
 ثم مضى إلى الجائط إلى الرجال المكبلين بالسلاسل ،
 وشرع يشير لهم واحداً واحداً .
 - هذا ألفنى التوسيم هو (إبراهيم المسقا) . شاب فى
 الثالثة عشرة من عمره . قلبه ملئ بالمواطف وهذه
 ملء بالطموحات . إلى أن جاءت اللداعة ..
 وتحرك إلى رجل اصلع ضخم الجثة ونظر لنا نظرة
 حاوية غرساء .

- وهذا الإغ هو (الزغبى فرحات) أول ضحاياها .
 وهو رب أسرة ورجل ورجع شديد الرزائة
 ثم تحرك إلى شاب كث الشارب تدلى راحته على كتفه
 - وهذا (سميد جابر) عامل البناء الذى ضرب
 روحه كى ينقى بالكنداهة . أما هذا .
 وتوقد عنه أنفى ..
 - فهو (رضا إسماعيل) . شقيق الدكتور (رفعت)
 لقد ضممته للمجموعة امس لقط بعد أن أخطت أنت
 الآخر ، والآن تصور مثبعر امكنا التى فكتت ولديها
 الراشدين فى ليلة واحدة ؟
 ثم أشعل سيجارة ، كان يعرف كم هو مسمع ويستمتع
 بذلك ، لك وجد أقصى متع الحياة فى أن يكون وغداً
 - والآن نأتى بموضوعنا الذى أثرته التامس ما هو
 هدفنى من كل هذا ؟ دهسى أخيرك بسر صغير
 ياد (رفعت) (إننى صبرى) أنت لم تلاحظ هذا بالطبع
 لأن الحافرة لا يحشون براس متضخم كالذى نراه فى
 قصص الخيال العلمى لكنى أؤكد لك اننى صبرى
 وب الذى قلته من ذلك ؟ لا شيء . سلسلة طويلة من
 الإحباطات . ثم أوفى إلى الالتحاق بسلك الجامعة ونفخت
 إلى هذه القدرة التى لا تناسب احلامى

وحتى في الحب ..

وارتجفت شفتاه قليلاً وهو يردد

- حتى هذا لم أوفق ، كان رأسي الأصمع ويظننى

السميكة بوقتائى عن الحصول على اللطيفات اللواتى
أرغب فى ان يشاركن حياتى ، كل شيء فى الحياة كان
يرضىنى على أن أكون ما أراوه لى مجرد فأر نريف
منزول بمنزل وفلير .. وحين أموت لن يكرهنى أحد ، ولن
يبكى على أحد ..

ولفت نظري سيجارته فى إنهاك وأردف

- وهكذا قررت أن لننظم ، إننى أصرف أن اسطورة

النداهة القديمة فى هذا البلد ، لهذا تزوجت (عواطف)
وبدأت فى تحويلها إلى نداهة حقيقية التى لاتتصور
عبرينى فى الماكياج ، ولكن إلتكاديتها فعلاً وأصابت
الذعر هل تنكر ؟

- لم أنكر لحظة

- كنت أختار صحبتي من روار الوحدة الصحية ، وكنت

أنفرد به فأحلقه بجرعة صغيرة جداً من (بتنولال
الصوديوم) .. إنهم يسمونه مصال الحليقة لأنه يصطف
الإرادة .. وهكذا يبدأ نوع خاصاً جداً من التتويج
المعظمى تحت تأثير هذا الدواء ، وأخبره أنه يجب

النداهة وأن عليه أن يلبي نداءها حين يسمعه فى

الليل وأن يظل صامتاً لا ياكل ولا يشرب فى انتظار

النداء

وفى الليل ترتدى (عواطف) ثياب النداهة الفسفورية

ونقلب عند بيت الصحبة ونبدأ فى النداء باسمه .. أحياناً

كان يلبي وأحياناً كان أهله يحكمون الحصار حوله ،

لكنه - مهما طالت المدة - كانت وثيقة أنها أمانة وأن أحداً

لن يجرؤ أبداً على الخروج لمصابتها ، أضف لهذا أننى

- أو حامل الوحدة - كف دائم على مقربة منها على

استعداد للتدخل إذا حدث شيء .

وكنت أزرر الصحبة صباحاً فأعطيه جرعة صغيرة

(منشطة) من الباربيتورات يظل وعيه فى حالة الصبات ،

إننى الوحيد فى القرية الذى له الحق فى إعطاء حقن

لا يعرف نوعيتها أحد للمرضى .

ثم تأتى الليلة المعصودة ..

الليلة التى يلحق فيها المريض بالنداهة . يحتفظ أبائى

أنا أو حامل الوحدة إلى تقبيره ونقله إلى هنا . أى إلى

سكنى الممرضات الخائى بالوحدة والذى لا يصعد إليه أحد

ولا يجرؤ أحد على تفتيشه ..

- ولماذا لا تخطف من تريد مباشرة وتنتهي؟^{١٤}

- ألفن ..!

قالها بلهجة من يقرر حقيقة لا غير عنيها

- ألفن يا صديقي . ألفن . يجب أن تكتمل جوانب
الأسطورة وتتسق مع بعضها . ألم أفل لك إلهي
صبري؟^{١٥}

- وما جدوى كل هذا ؟ وما فائدة جمع الفلاحين

كالفراش؟^{١٦}

صعدك في مرور .. وغضب:

- هذا هو بيت القصيد إن لهذا شطرين الشطر

الأول هو استمتاعى الخاص بإحياء قصة البهية وإفزع

هؤلاء الناس . والشطر الثاني هو حاجتى إلى حيوانات

تجارب بشرية لإجراء نوع خاص جدًا من الأبحاث

أبحاث هي وبعدة قراءاتى وعيائى . أبحاث سفلى إلى

صنع الإنسان الأعظم الموهوب من

قلت له فى صغريه

- لهذا وجدت فى هجرتك كتب (بيتشمه) وكفاهى

(نهرتر) وكل هذه الروايات عن الخيال العلمى . أنت

تعتقد إن هذه الأفكار النازية المصفوية .^{١٧}

أعصر ميجارته بين أسمائه وعظم:

- نيمت أفكارا مخبولة . أتشارلها خارقة لايقومها

أمثالك . أنت عالم حقا ولديك شهادات علمية لا أعرف

حتى كيف ألرا أسماءها لكلك مجرد صرصور آخر يحرك

شواربه فى جشع بحثا عن المادة .

وبصل فى التميزاز:

- صرصور ..!

تجاهلت إعاقته التى لا مبرر لها أبدا . وسألته:

- لدى غصنة أمثلة أرجو أن تعجب عليها . أنا أعرف

لك مثلهف على بدء تجاربك على لكلى لا أريد أن أموت أو

أجن وأنا ثم ألهم بعد

- صل ما تريد ..

- السؤال الأول هو : لماذا جعلتمونى أرى النداهة فى

تلك النبوة ؟

ماذا كان سيكون تصرفكم لو ألقى هاجمتها؟^{١٨}

قال وهو يهرش صلته:

- كان هناك احتمالان الاحتمال الأول - وهو

الأفضل - كان أن يصوبك للهلك وتزداد إيمان بوجود

النداهة وهو ما حدث لكربها . أما الاحتمال الثانى فكان أنك

قد تجاهمها . وعلمتد كنا منناب عليك أنا و (صلاح) عامل

الوحدة لنحققك بهنوثال الموهوبون ثم تبدأ معك قصة النداء

الغامض

يختلج بعد أقل من ساعة من خلقه . أنت تريد القول إن هناك من كان يزوره ويحلقه بالهيبتيورات في الفترة التي تلت خلقه الأول ، وهذا صحيح . لقد كانت (لجأة) روجة عليك تدعوني سرًا لرؤية زوجها وحلقه لأنها لم تكن تثق فيك الهبة وكانت تعلم أنك - علم المواحدة - جمار ..

- الهبة ..

- والآن قل سؤالك الرابع بسرعة

- السؤال الرابع هو كيف تطعمك (عواطف) بهذه

السهوة ؟

وسمع يده على كتفها في حنا وقال .

- إنها تعلم من بي بشدة . وكلل أي شيء أطلبه منها .

انتمت (عواطف) في لخر . زوجان سعيدان يحب أحدهم الآخر ولو لم تكن ملبدا في قبضتهم كالذبحة لتعلمت لهما الخير .

- السؤال الخامس هو : ما نوع التجارب التي تجريها

على هؤلاء النصارى ..

- سؤال جيد . إنني أحاول صنع الإنسان المبور من

لهذا أعرضهم لمؤثرات شتى من الإجهاد الحراري

والسموم والبكتريا .. إن قوة تحملهم تزداد يوما بعد

يوم . ! وعم قريب لن يؤذيهم شيء

أنت فلدت الاحتمال الأول - إلا أنك القريت جدًا من الحافطة حين رسمت وجه اللذاعة - أو (عواطف) - بهذه الثقة لهذا أترنا أن لبنا معالجته فورًا . نست لك (عواطف) مطنرا في الشاي .. ومارست أنا تنويمك مضطربًا بمسونة بنتوئال للصوديوم .. وحين عدت لدارك - بعد ساعتين - كنت قد صرت مسحورًا آخر ينتظر النداء ..

هزرت رأسي علامة على الفهم ثم قلت

- السؤال الثاني من لك علاقة باختفاء

(عبد الرازي) ؟ الفتى الذي قلت أنا إنه مسحور ؟

- بالطبع لا . لقد فر الفتى لأنه مصاب بمرض الكلب

و قد وجدوا جثته في (الرياح) منذ ثلاثة أيام . لقد أسابته

لوبة هياجية جعلته يفر ويرمي بنفسه هناك . وطبعًا تم

يجنوه إلا بعد عشرة أيام . اننى يرى من لمة

- السؤال الثالث هل حقا لم تر ألقى (رضا) في بيته

بعد إصابته بمرض اللذاعة ؟ . إن كيف وجدوا مادة

الباربيتورات في لمة بعد اسبوع من مرصه ؟

انتم في صودة كانه أمتاذ بهلى تلميذا مجتهدا

وقال :

- أنت حقا نكس . لم تلم علم الادوية بعد ، ولم تتن

أن بنتوئال الصوديوم قصير المفعول جدًا ، وأن أثره في الدم

.. بكت... بكتريا .. لكنت مغبول تماما .! إنك تقتل
هؤلاء النساء بيضاء !

قال في كروياء وهو يرمي سيجارته .
.. إن ملا يقتلني بزيدي قوة ..
.. وإذا قتلك .

.. عندما أكون أنا إحدى الفضلات التي مزت مع مصفاة
الاتجاه الطبيعي ومن تولى ستكون الحياة أفضل . هكذا
تكلم لرباشيت يا عزيزي !

بالمنعوتة ! تمت في هذه اللحظة لو كان (بيتشه)
أمامي في أعظم راحة . ما أكثر المجانين الذين يلحق بهم
هذا العالم وأنا لا أعترض على وجودهم بشرط ألا يردى هذا
إلى إلقاء وجودي أنا . شخصية محببة معقدة تعجز
وعدها في الريف وتقرأ كتب مطبولة ليلا ونهارا . لماذا
تكون النتيجة !

انتهت خمسة الاسئلة وحان وقت العمل .

في صمت .. كأنه جلاد يمارس عمله التقليدي .. أعداد
لصق قطعة البلاستر على لمي . ثم تناول محطبا من
(عطوط) . وأفرغه في وردي زراعي . ثم تناول ملف
مكتوبا عليه بخط لثيق .

» فتكور (رفعت إسماعيل) .. أسفد فرفض لكم (٣٧)
سنة (خلف ١٢ مايو ١٩٦٢ ..

ويدأ بخط فيه عوارف عذبة بالاحتجزة ... وكلمتي
وجهه بصيغة رسمية صارمة وهو يصدر تعليمات ملزوجة
كأنه في مستشفى كبير :

.. الحرارة وللنض وضغط الدم وتغيرات الحفظة كل
٤ ساعات . الوجبات العادية .. غذا لبدأ الإسهال
الحراري ..

إنهك حراري ١٧ .. أن ينتهي هذا الجنون ١٢ .. وكيف
أمنى حياتي وأظن في هذا الوضع أنا الذي لأشغل
الجنون في مكان واحد أكثر من ربع ساعة ؟
إنه لمازق عاتقي ..

بعد أربع ساعات كنت قد انتهيت تماما ..

هأنذا مهد تحت رحمة طبيب مجنون كما يحدث في
الروايات للطبوبة الرخيسة . المشكلة أنني لم أنجس نفسي
أبدا في هذا الموقف . والمشكلة الثانية هي أن للبطل - في
هذه الروايات - يهرب فلما في آخر فرصة . فكيف أهرب
أنا ؟ ..

طيفا لا جنوى من محاولة الاستغاثة أو إسماع معصمي
بشد القيد لأن من سيقولني - بالطبع - قد حاولوا كل هذا

وفشلوا... ولا جدوى من أن يبحث على أحد في القرية
لأن القلعة أجاد حبه قصته ، وهم لا يشكون في أن النداءة
قد انقضت أنا وأمي ..

فتح قباب ونخلت (عواطف) واتجهت نحوى ، ولمى
برود تفحصت حذقة عيني لم وضعت ترمومترًا تحت إبطي
ولفت جهاز الضغط حول ذراعي .. وعدت لبعسى ، ثم إليها
قرأت الترمومتر ، واستدارت لتتصرف فناديتها بأقرب ما
استطعت خلف البلاستر ..

- (عواطف) ؟ ألا تكلمين ما الذى سيحدثك إليه هذا
للمعتوه ؟

- ماذا ؟

- السجن أو ما هو أسوأ ، ا فكرى فى ذلك . لم تزل
لديك فرصة ..

فكرت حينًا بوجه مطلق .. ثم إنها قالت وهى تهز كتفيها
وتعبد تشيبت البلاستر :

- هذا نعم من شأنه ..

وتركتنى واتصرفت ..

★ ★ ★

وجاء الليل ..

عانت (عواطف) حاملة إزاء كبرياء به عائلتها ..
وشرعت تنور على الأسرى واندا ولحذا تنس فى فمه

ملطقتين أو ثلاثًا من هذه المادة الهلامية المتقرفة ثم تتركه
بمضغ بشكل ميكانيكى وينتجب لأخر . وجاء دورى ؟
رفعت البلاستر من على فمى .

كلا ؟ لن أكل من هذا الشيء ؟ ، ولن يكون فمى هو
الخامس بعد هذه الأقواء ..

- لن تأكل ؟

سألتنى فى لظلمة . فقلت لها دامنا وأنا أشعر بأننى
مفلووم إلى حد لا يوصف :

.. لا .. لا ..

.. كما تريد . عندما تموت جوعًا ستترسل من أجل
هذا ..

وهذا خطرت لى فكرة .. الوتر الوحيد الذى يمكن أن
أعجب عليه هو مشاعر الأنثى .. قد لا أفهم للمرأة تمامًا ولو
كنت أفهمها لكانت متزوجًا منذ عشر سنوات لكننى أعرف
عنها صورة ضبابية من قراءاتى ، لهذا قررت أن أستغل
ما أعرف :

- (عواطف) ؟ هل كنت واثقة أن .. (عاصم)
يحبك .. ؟

.. ماذا تعنى ؟

- أعنى .. هل هو يستحق كل تضحياتك من أجله ؟

تفكرت حيناً بوجه سافل .. ثم هزت كتفيها وأعانت
تثبيت البلاستر قائلة وهي تتصرف :
- هذا ليس من شأنك !

★ ★ ★

بعد أربع ساعات عانت لتأخذ علاماتي الحيوية ، فظلت
لها :
- (عواطف) .. اسمعيني لحظة واحدة ..
- هم م م ؟

- إن الدكتور (عاصم) لا يحبك .. بل هو يرى أن
زواجه منك أحد أسباب كراهيته لهذا المجتمع ... أنت
إحدى علامات خزيته وهو أن يظفر لك هذا ..

نظرت في عيني بوحشية وهيمت بفحيح الأفعى :
- أكرهن !

- وأماذا يمنع رجل ناضج زوجته من أن تنافيه باسمه
المجرد ؟ .. إنه يجهل منك ..
- هذا ليس من شأنك .. !

قالت لها وهي تهز كتفيها ... وأعانت لصق البلاستر
وتركتني وانصرفت !

★ ★ ★

في موعد الإفطار عدت لأمارس لعبتي الخطرة ..
- ألم تتفحصي أبداً كراسة مذكراته ؟

قالت في كبرياء وهي تلمس الملصقة المشنومة في
فمها :

- الزوجة المعترمة لا تنجس على زوجها .. أبداً ..
قلت وأنا أمضغ تلك الطليط الكريه من مواد مرّة
ومسكرة ومالحة :

- إنه في العيادة الآن .. هلا صعدت إلى غرفته وقرأت
مذكراته ؟ .. أنا رأيتها .. ووجدت بها فصائد شعر ورسوماً
وحدثاً عن غفوات كثيرات أحبهن قلبك ..
- لا أصلح ..

- أمانك الكرامة .. وهو لا يخطئها على ما أظن ..
- هذا ليس من شأنك ؟

قالت لها وهي تهز كتفيها .. لكنها في هذه المرة لم تعد
لصق البلاستر قبل أن تتصرف !

★ ★ ★

وبعد ريع ساعة عانت لي والتموع في صديها وثمة
شراء ما في قبضتها ... وصاحت وهي تتهالف وأنفها
يميل :

- تلك الصافل .. الملعون !

أهـ ١٠.. هل أصابت رميتي إلى هذا الحد ١٢.. يالى من داهية ..

.. أنه لم يتزوجنى إلا لأنى أشبه حبيبته الأولى ..
.. ألم أقل لك ١٢

.. والأدهى أنه كتب فى مذكراته أننى لا أشبهها إلا فى التلاعب لأنى غبية جاهلة وثقيلة الظل ... وإن ما أظنه من أجله لا يزيده إلا تشبهاً بالأخرى .. ذلك الكاذب المغادر ..
لثت لها وقد شعرت بقتلى يتمزق بالتفعل من أجلها :
.. حاولى أن تلتسى ... فقل الرجال لهم حب أول ..
وهذا مفت يدعى فى عصبية بالشىء الذى كانت تظفيه ..
فكأن صفيح صدق أولجته فى قفل القبود وشرعت تفكها فى جنون وهى تصيح :

.. والان اذهب عليك اللعة ١٠.. اذهب واغرب بيتنا أنا وهو ، فلم أعد أعبأ بشيء .. هيا .. اذهب عليك اللعة قبل أن أحطم رأسك !

وللعظة لم أصنع أننى تعذرت .. كانت أطرافى متصلبة .. وكنت أسقط أرضنا لكن نظرة واحدة تعينها الناريتين جعلتني أطلق ساقى للريح ..

أهـ ١١.. الشمس والهواء ، ولأول مرة منذ أسبوعين ..

استغرق الأمر ساعتين كي أحضر بعض رجال الشرطة من المركز ليداهموا الوحدة ، وكنت قد ارتكبت ثباتى وحذالى ووضعت مسدسى فى جيبى ، ودخل رجال الشرطة سكن الممرضات فوجدوا الضحايا الأربعة ملقنين كما وصفتهم ..

ثم فرحوا باب سكن الطبيب مرارا لظلم يرد أحد .. تعاون الاثنان منهنهما ضففا للجنة على تهشيم الباب ، ودخلنا الغرفة .. وكانت كما هى لم يتغير فيها شيء .. إلا أن من دخل غرفة الطوم عاد لنا ووجهه منتقع قللاً :
.. ألهما هذا ..

وعلى الفراش كانا .. هى ساقطة على ركبتيها ووجهها مدفون فى الصلاة كأنها تكلم بيلما هو راقد على ظهره مطروح العينين ونظرة ذاهلة ترمق السقف .. وعلى الأرض انتشرت الفراش (الدونوليز) .. لك تتلولا جرحه لثابتة من نواء السكر أنت لثقتكما على القبود .. وربما أرايت هى أن تموت معه وربما أجهرها هو لأنه لم يستطع أن يهرب (وأن يهرب) ولم يستطع أن يظل حياً لمواجهة غضب أهل القرية وصرامة القائلون وسفوية الدمام .. وجواره على الفراش كان كتاب (علاءى) لهتر ملقى فى أحضان ..

قلت في شروء وقد يخ صوتي من الرهبة :

- لقد أراد أن ينتحرا مثل (هتلر) و (إيفاراوين) عنقما
غزا الحلفاء براين ..! نفس المشهد الأليم .. ونفس
الظروء!

التفت إلى رجل الشرطة الواقف جوارى سائلا :

- انتحرا مثل من يا لذي؟؟

لا يبدو لي أن أحدهم سيذهب ... لن يذهبوا مهما قلت
أيذا ..!

نهاية مأساوية لكنها أفضل نهاية ممكنة ..

خاتمة ..

في مستشفى الجامعة بالقاهرة أقد لي الأطباء مراقا أن
أخي (رضا) بخير وسينجو ، وقد احتاجوا لنقل الدم له
مرتين وأجروا له غسلا بروتونا لازالة ما نزل جسمه من
سموم ... وقد قلت أمي وأختي جواره ليلة الوقت وقد
مرهما ما بدا عليه من علامات الشقاء الأكيد ..

أما (نجاه) - تلك الأسمى القاسية - فقد فكرت الأطباء
كثيرا ولم تكلف طاغرها بتوجيه كلمة شكر واحدة لي ،
وعلى كل حال فأتنا لم أفعل سوى واجبي نحو أخي ولا أحتاج
شيلا خاصا منها ..

شيء واحد أثر حزني ، هو أن زملائي لم يستطيعوا أيذا
إتقان (الزخري) لأن تجارب (المرحوم) كانت قد وصلت
معه إلى طريق بلا رحمة ، أما عن (سميد جابر) فقد
استعاد لياقته ، وعاد (إبراهيم السقا) يحلم ويستمتع
بالربيع والزهور .. أما أجمل شيء فهو أن أسطورة النشاعة
قد انتهت بعدة أجيال ولن تعود إلا لصورتها القديمة ..
مجرد أغنية ترعب بها الجدات أطفالهن قبل النوم لمجرد
التلذذ برؤية الهلع في عيونهم البريلة المتسفة !!

ولعدة أسبوعين كاملين استمتعت بوجود إمرأتين في
بوتي بالدقي - أمي وأختي - فساد النظام والنظافة ، وعدت

أكل جيدًا وألبس جيدًا وأنام جيدًا وازداد وزني عدة كيلو جرامات ..

وعند الرحيل توصلت لي أمي أن أذهب معهما للقريه كي أعيش هناك للأبد .. لكنني هزئت رأسي في يأس ... لن أستطيع أن أتخلى عن مهنتي أبدا ولن أفارق الجامعة ، طلبت مني - على الأقل - أن أتزوج مريفا كي تظنمن علي في وحدتي .. فوعدتها أن أفعل ذلك بمجرد أن أعود من مؤتمر أمراض الدم الذي سيعقد في أسكتلندا بعد ستة شهور ..

ودعتهما هما وأخى على المحطة ... ثم عدت لداري الخاوية وقد أبركت تلك الحقيقة المبروعة : لقد انتهت اجازتي ولن يسمح لي الععيد بيوم آخر وإلا كان في ذلك خراب بيتي !

حتى ساعات راحتي صارت أكثر توترا وانهماكا من ساعات عملي !

والآن وقد انتهت قصتي مع الأشباح حان الوقت لأحظى بحياة طبيعية لكنني لم أكن أعرف أنني سألقى شيطانا من نوع آخر في مكان آخر بطير كل احتمال للراحة من حياتي .. ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل

القاهرة في مارس ٩٢

[تمت بحمد الله]

مع تحيات منقدي ليلاس